صراعات وهمية

المثقف للنشر والتوزيع
اسم العمل: صراعات وهمية
اسم المؤلف: (مهدي) زكرياء درفلو
تصميم الغلاف: محمد إسلام
اخراج وتنسيق: ح. كوثر
رقم الإيداع: 2019/ السداسي الأول
التوزيع الدولي: مصر، لبنان، الأردن، العراق، السودان
الترقيم الدولي (ISBN):3- 417- 79- 9947-978
الناشر / دار المثقف للنشر والتوزيع
المدير العام / سميرة منصوري
هاتف/ فاكس 75 65 85 033 /50 28 76 66 06
صفحة الدار على موقع فيسبوك: https://www.facebook.com/elmothakaf/
الموقع الإلكتروني:
www.elmmothakef.com

الطبعة الأولى 1441 هـ - 2019 م

جميع حقوق النشر الورقي والإلكتروني والمرئي والمسموع
محفوظة للناشر وغير مسموح بتداول هذا الكتاب بالقص أو النسخ
أو التعديل إلاّ بإذن من الناشر

زكرياء در فلو (مهدي)

صراعات وهمية

المثقف
للنشر والتوزيع

بيلومانيا
للنشر والتوزيع

المحتويات

الإهداء

تمهيد

الدّافع لكتابة صراعات وهمية

مقدّمة

فهرس المحتويات

العنوان	الصفحة
- أن تُحَبْ يعني أن تُؤْذَى	24
هل أنت منهم؟	28
لماذا أنت منهم؟	35
أنت لست منهم أبدا	37
- احذر من حسن معاملتك	40
كن مثل الشاب ودعك من الجماهير	53
لا تبرر كل أفعالك.. توكل وستنصر	57
- ستحارب لأنك مختلف	62
هم تسعةُ رهطٍ الذين يفسدون	68
اطمئن قد يخلد اسمك مثل سقراط	73
- أن تكره بدون سبب	75
احذر أن تتنازل عن أبي الحكم لأبي جهل	81
لماذا تكره بدون سبب؟	87
- إنه يكذب باستمرار	98

لا تكن كصاحب الخنفشار	105
لماذا يكذب بشكل مستمر؟	107
- يلعب دور الضحية دائما	112
هل أنت من الذين يلعبون دور الضحية؟	119
لا تقامر بوضع سمعتك على الميزان.	123
- عقدة الشعور بالنقص	129
سبب الشعور بالنقص عندهم	136
هل حقا أسبابهم حقيقية؟	139
قد تكون عظيما ولا تدري	143

" (الجهل، الأرض الخصبة للخداع..) "

الإهداء..

إلى الذي علّمني كيف أكون رجلا، وإلى التي علمتني كيف أكون إنسانا، إلى أبواي..

إلى كل من ظلمتهم وأحسبهم قليل، و إلى كل من خذلتهم وأحسبهم كثير..

إلى مدينتي التي لا تنام، عين الحجل..

وإلى كل من ساعدني على إتمام هذا العمل..

شكرا للكل..

تمهيد:

... صدّقني أخي القارئ أنّك ستقرأ في كتابي هذا أمورا تحدث لك كلّ يوم، في كلِّ زمان وفي كلّ مكان دون استثناء، في بيتك مع والديك وإخوتك أو إن كنت مع أصدقائك المقربين أو غيرهم من أهل بلدتك، في مكان عملك في مكان دراستك في المقهى الذي تتردّد عليه غالبا، في الملعب سواء كنت متفرجا أو لاعبا، وحتّى في المسجد أو مكان العبادة..

أؤكّد لك وأنت تقرأ ستقول كل هذا حدث لي فعلا، الفرق فقط سيكون في أنّني سأنبّهك لكّل ذلك، وسأعطيك طرق التّعامل مع كل حادثة مهما تنوّعت، أو قد يتضح لك من خلال الأحداث أنك أنت بطلها وأنت الفاعل الأساسي لها، لتتحول من مفعول به إلى فاعل كل أحداثه عبارة عن صراعات وهمية لا أساس لها..

صدّقني مرّة أخرى قارئي الكريم إن قلت ولا أبالغ، أنك سوف تكون إحدى الاثنين، إمّا ضحية لصراع وهمي لا أساس له، خيل لآخرين بناء على تصرّف من عندك قد يكون عفويًّا،

لكن أولئك أوّلُوه على أنّه تصرُّفٌ غير عفوي أبدا، بل هو مقصود لغاية ما في غالبها غاية تحقق مصلحة لك.. أو قد يكون بناء على صمتك، لا تتعجّب حتّى الصمت حينما يُفسره أولئك الّذين يعانون من الصّراع الوهمي سيجعل من صمتك خبثا لن تُحسد عليه.

وإمّا أن تكون أنت هو ذاك الفاعل الذي يتّخذ من التّأويل أصلا لكل شيء، فتقوم بتأويل كل فعل على أن له سببٌ وله ما بعده، وحتى الصّمت فهو عندك لغاية ليست حميدة أبدا، فيؤدي بك إلى دخول دوّامة الصراع الوهمي بسبب أو دون سبب..

سواء كنت ضحية أو بطلا للصراع الوهمي فالأمر سيان إن لم تعلم ذلك وتتخذ موقعا سلميا لك، إن كنت غافلا عن موقعك في الحدث فسوف تضرُّ نفسك كثيرا، وإن كنت أنت صاحب تلك الشّكوك غير المبررة وتلك الرّغبات غير المروضة فستدخل في صراع وهمي يضرّك أكثر من أن ينفعك، أما إن كنت ضحية لتأويلاتهم غير السليمة لأفعالك وصمتك، فسيجعلونك تصاب بالحذر وحتّى الخوف من كل فعل، لأنك

حتما ستخشى تأويلاتهم الغبية، وفي الغالب ستُؤذَى بُطرقٍ عديدة..

إنّ معرفة مكانك الحقيقي من الأحداث سيجعلك تُميّز من أنت على حقيقتك في كُلّ حدث، أعلم جيّدا أنه لن يكون لك الجرأة في أن تعترف بأنك صاحب صراعات وهمية في كثير من الأحيان، لكنّني أعلم جيّدا أيضا أنك سترى نفسك في قصص كثيرة لتقول لنفسك ولو في لحظة مُصارحةٍ لمَ أنا هكذا..؟

ولتصدقني لمرّة ثالثة ولْتَتَعوَّدْ تصديقي كثيرا في هذا الكتاب قارئي الكريم، إنّ كلامي هذا لا يخصُّ سكان منطقة معيّنة فقط، كانت داخليّة أم ساحليَّة أم صحراوية أو بلدا كان متطورا أو غير ذلك، بل إنّه يخصّ الكلْ دون استثناء ودون النّظر إلى المنطقة أو الدّولة أو القارة، الفرق الوحيد هو علمك واتّخاذك للموقع السّليم حين يكون الفعل، وهذا ما يترتب عليه نوع ردّة الفعل، فكلما كنت أكثر معرفة لموقعك في الحدث وكنت أكثر وعيا وثقافة وعلما وأكثر قوّة من أن تستدرج في أن تضعف فتهزمك نفسك الأمّارة بالسوء، كلّما كنت بعيدا على دخول

دوّامة الصراع الوهمي، لأنه ساعتها فقط تستطيع أن تُميّز كيف يكون نوع التّصرف وكيفية التّعامل معه.

قارئي الكريم، لا تتعب نفسك بحلّ هاته الرّموز التي تبدو غريبة بعض الشيء، لأنّك لن تحتاج فهمها الآن، فمن خلال تصفّحك ولو لبعض من الكتاب ستفهم أغلبها دون عناء، ذلك أنّك أصلا. ولتتذكّر كلامي تعيشها دائما في كلّ مكان وفي كلّ زمان..

الدّافع لكتابة صراعات وهمية..

لأنهم يعيشون معنا دائما، في كل مكان وزمان، لأنّ القاع ازدحم بهم ولم يعد يحتمل، لأننا نسيء فهم الآخرين، ويساء فهمنا، لأنهم يتّخذون التأويل السلبي أساس كل تصرف من طرف الآخرين، ولأن المسافات التي بيننا اتّسعت بسبب سوء التأويل وسوء الظن، ليُفضي إلى سوء التصرف، ثم إلى سوء الفعل وردّة الفعل، حتى أصبحنا نعيش في وسط في غالب الوقت نخاف فيه من التصريح ونخاف أكثر من التلميح، كل كلامنا أصبح يفسر بغير نيته، وكل أفعالنا أصبحت محل شك وريبة، أصبحنا نشيطن أنفسنا، ودخل الشك بيننا وبدأت رقعة الخلاف تزداد شيئا فشيئا واتّسعت المسافة حتى أصبحنا نعبر

عنها بالمسافات، فهي لم تعد واحدة بل كثيرة، وبين كل مسافة نقطعها لتوضيح الأمر نجد أنفسنا وكأننا لم نبرح مكاننا، ليبدو لنا أن الذي قطعناه لا شيء مقارنة بالذي رأيناه يزداد بعدا..

هي ليست ألغازا، وهو ليس خيالا، بل هو واقع نعيشه كل يوم ومع الكل تقريبا، أصبحنا نضيع وقتا كبيرا وجهدا أكبر، في البحث عن كيف نقول وكيف نتصرف كي لا نُفْهَمْ بالخطأ، مشقة كبيرة ومتاهة متداخلة، تأويل هنا بشكل ما، وتأويل هناك بشكل آخر، ولا علاقة لهذا أو ذلك بحقيقة القول أو الفعل..

مرّة أخرى إنها ليست ألغازا، بل هي صراعات وهمية دخلها أولئك بناءً على تصرف أو قول أحدهم وبنوا عليها توقعات عديدة وأصدروا أحكاما متعددة، فانقلبت المعايير.. فأنت عندهم وإن تكن محبوبا لدى الكل قد يُفكر في أن تُؤذى، وعليك أن تحذر من حسن معاملتك لأنها قد تكون خطرا عليك، وسوف تحارب لأنك مختلف ومتميز، وسوف تُكره دون سبب،

وقد تخدع وتستنزف من أفراد يمثّلون دور الضحية بامتياز، وتصطدم بأولئك الذين يعانون الشعور بالنقص..

لهذا كله كان التفكير في الكتابة على أولئك الذي يعيشون صراعا وهميا ومحاولة ولو متواضعة تبيين حالهم وطريقة تفكيرهم وتقديم النصح لهم، لكن تذكر قد تكون أنت أو قد أكون أنا منهم، لذا تعال نقرأ بكل موضوعية وجرأة وتجرد..

لا تحاول قراءة هذه الصفحة مرّة أخرى أعدك أنك ستفهم ما أقصده جيّدا أثناء قراءتك لمحتوى الكتاب..

مقدمة

لست أدري بأيّ أنواع التّقديم أقدم كتابي هذا، إذ أنه قد لا يهمّني كثيرا أن تكون مقدمته جذّابة أو قويّة، لكن الشّيء الذي أعلمه جيّدا وهو اعتقاد بالنسبة لي لا يقبل القسمة على اثنين، هو أننا كلنا نعيش في فترات متفاوتة من الزمن، نعيش صراعات في أغلبها وهمية لا علاقة لها بالفعل الحقيقي أو الصمت الحكيم، في كثير من الأحيان نكون نحن ضحايا ذلك الصراع الوهمي الذي صوّره الكثير من الناس بناء على تأويل أفعالنا أو صمتنا، وفي أحيان أخرى نكون نحن أبطال ذلك الصراع، فنبدأ بتأويل أفعال الآخرين أو صمتهم فندخل في دوامة صراع وهمي لا أساس له.

الصّراع الوهمي هو أن تتخّذ من قصّة معيّنة أو من فعل شخص معيّن أو حادثة ما لا تعنيك أصلا على محمل شخصي، كأنّها تخصّك وتؤذيك، أو قد تكون تلك القصّة أو الحادثة تعنيك حقا لكّنها كانت عفوية جدا، لكن تأويلك الخاطئ وشكك

غير المبرّر يصورها لك بغير حقيقتها، ومنه تنشأ علاقة صراع قوية، في البداية ستكون مع نفسك، لتتطور لتصبح مع الطرف الآخر، لكن للأسف هي في الحقيقة علاقة صراع وهمية فحسب.

حسب **ابراهيم الفقي** في كتابه **قوّة التفكير**، فإنّ العقل يبني على ما تعطيه من أفكار عبر التّركيز ثُم الانتشار من نفس النّوع، فأيّ فعل تهتم به سوف تجعل عقلك يركّز عليه كل التّركيز ثمَّ تبدأ في عملية الانتشار أي انتشار الفكرة من نفس النوع مع إلغاء كلّ الأفكار الأخرى.

لهذا فإنّك حينما تدخل في دوّامة الصراع الوهمي سوف تغذّيه عبر التّركيز أي التركيز على تلك الحادثة أو الفعل دون سواه، ثم الانتشار واستدعاء كل حالة مشابهة لها عبر التاريخ مع إلغاء كل الحالات الأخرى، ليتطوّر ويتطوّر حتّى تنشأ علاقة في الغالب نتيجتها الكره الذي قد يُورَّث عبر الأجيال، علاقة كره باطلة مزيَّفة غير حقيقية سببها صراع وهمي فسر على محملٍ شخصيّ بطريقة خاطئة.

هناك الكثير من المحطّات المشابهة للصراعات الوهمّية عبر التّاريخ فالذي جعل إبليس يُطرَد من رحمة ربه هو صراع وهمي أنتجه حسد وكِبْرٌ غير مبرّران البتة، والقصّة معروفة، والذي جعل قابيل يقتل أخاه هابيل وبذلك يتحمّل وِزر القتل، ما بقيت البشريّة، هو صراع وهميّ والقصّة معروفة أيضا، والذي جعل من أبي الحكم عمرو بن هشام، يرفُض هداية النبي صلى الله عليه وسلم له ولأمتّه، هو صراع وهمي، أنتجته غيرة ومنافسة غير مبرّرة، مع أنه كان يشهد للنّبي بالأمانة، لكنه أبى أن تكون في بني هاشم النّبوة دون بني مخزوم!! ليصبح أبو الحكم أبا جهل!! فلم تنفعه لا حكمته التي استخدمها في غير موضعها ولا شرف نسبه، فبمجرد أن أوكل نفسه لنفسه، حتى كبر ذلك الصّراع الوهميّ ليقضي عليه دنيا وآخرة.

الصّراع الوهمي هو غباء مركّب تتحكم فيه نفسيات مريضة تافهة يجب محاربتها بالعلم والقراءة والبساطة في التعامل والمصارحة.

قد يكون هناك الكثير من العوامل المؤثّرة والممهدة لسقوطك في صراع وهمي لا أساس له، مثل البيئة المحيطة بك، أهلك جيرانك نوع أصدقائك.. والأفكار التي اكتسبتها من المخالطة دون تمييز أو تمحيص، لتجد نفسك تتعامل مع كل حدث أو حادثة لا تعنيك أو قد تعنيك، تتعامل معها عبر كل تلك التّراكمات التي تحملها، دون تمييز ودون وضعها في موضعها الحقيقي، لتدخل في مرحلة الوهم، يقول **ابن سينا**: الوهم نصف الداء..

وكلّ أفعالك بعدها ستكون مشبّعة بأفكار غريبة وهمية ليترتّب عليها التّفكير بالإيذاء، دون الدّخول في نوعه فقد يأخذ أشكالا عديدة لا حصر لها، لكن لتتأكد أنّها كلّها نتاج وهم ركّزت عليه وانتشر من نوعه.

الجهل هو الأرض الخصبة لكل شيء سيّء، هو بداية وقوعك في الوهم وفي الصراعات وفي كلّ شيء يضرّك ويضّر غيرك، فإنّ استبداد الجهل على العلم ينتج عليه بالضّرورة استبداد النّفس على العقل وهذا أقبح أنواع الاستبداد حسب **عبد الرحمان الكواكبي..**

ولتتأكد مرة أخرى أن الجاهل يفعل بنفسه وبغيره ما لا يفعله العدو بعدوّه، لأن الجهل في حقيقته وثنية، لأنه لا يغرس الأفكار بل ينصِب أصنامًا، **حسب مالك بن نبي**.

1- أن تُحبْ يعني أن تؤُذى..

اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ(9) [1] ..

قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ(10)[2]..

كانت النّتيجة التي توصَّل إليها إخوة يوسف هي إمّا أن يقتلوه أو أن يلقوه في غيابات الجبّ، تُرى ماذا كان جرم يوسف عليه السلام لكي يُفكِّر أقرب المقرّبين إليه إما في قتله أو إلقائه في الجُب.؟؟

يوسف لم يقم بشيء، لم يؤذهم أبدًا ومع ذلك فكّر أقرب الناس إليه في قتله، أليس غريبا أن يفكّر قريب منك في قتلك أو إبعادك وأنت لم تقم بأيّ فعل يؤذيه..؟

يوسف فقط كان محبوب أبيه، ترى هل عندما تُحَبُّ يُفَكّرُ في قتلك؟

[1] الآية 09 من سورة يوسف.

[2] الآية 10 من سورة يوسف.

كان السّؤال الذي شغل إخوة يوسف هو لماذا يوسف هو الأحبُّ إلى أبينا؟ وبدل أن يبحث أولئك الإخوة عن السبّب الحقيقي لِحُبِّ أبيهم لأخيهم، راحت أنفسهم تصوِّر لهم من شرّها ما تصوّر، فقط لأنّهم ركنوا إليها ليدخلوا في دوَّامة صراع وهمي، ليبدأ هذا الصراع بالاتساع والانتشار كلَّ يوم، ثم لتستدعي عقولهم المريضة كلّ الطرق للقضاء على ذلك الحبّ، ولم يهتدوا إلّا لطريقة القتل أو النّفي، لأنهما الأسهل والأكثر سرعة..

قصّة يوسف مع إخوته ليست قصّة من الزّمن وقد مرّ، بل هي قصّة تمشي مع الزّمن وفي كلّ مكان في العالم، الحبّ قد يكون سببا للكره بل قد يكون سببا للتّفكير في القتل أو النّفي أو إلحاق الأذى.

أن تكون محبوبا فلتتأكد أنّك هدف صريح لسهام مرضى النّفوس من الذين يعانون من الصراعات الوهميّة، أولئك الذين يفسّرون حبّ النّاس لك على أنّه بالضرورة يقع على حسابهم، ليس شرطا أن يكونوا أناسا قريبين منك أو أقرباءك فقد يكونوا أناسا بعيدين عنك ولا علاقة لك مباشرة معهم ومع ذلك أنت هدف سهامهم.

في البداية سوف يعتقدون أنّك لا تستحق ذلك الحبّ أبدا، ثم تبدأ الفكرة تنتشر من نفس نوعها لتستدعي صويحباتها مثل أنّك لا تستحق وأنك أقلّ شأنا من ذلك الحبّ وأنّ النّاس مخدوعة فيك.. ومن ثمّ البحث في التّاريخ عن أيّ خطأ لك قد يكون عادي ليبرّروا به أقوالهم ثمّ ليركّزوا عليه، وفي خِضمِّ تلك الدّوامة للصراع الوهمي الذي دخلوه يكون حتما عليهم أن يصلوا إلى نتيجة قد تبدو منطقية لهم، إذ أنّهم أحاطوها بأسوار من الأحداث المتداخلة والمزّيفة ليصلوا إلى اعتقاد هو بالنسبة لهم اعتقاد قويّ جدًّا، لكنه في الحقيقة اعتقاد مزيّف صوره لهم دخولهم في دوامة الصراع الوهميّ، ليبحثوا عن كيف ينزعوك ويجردوك من ذلك الحبّ ويمكرون كل المكر لذلك، وستكون كل الطّرق وكلّ الوسائل مُباحة لهم إذ أن اعتقادهم قويّ في أنَّك لا تستحق.

إنّ كلمة محبوب لا تعني فقطْ أن تكون ذلك الشّخص المشهور الذي يشار إليه بالبنان والذي يعرفه كلُّ النّاس ويحّبه الجميع، أنا لا أقصد هذا النوع فقط من النّاس، بل قد تكون

عُرضة لخطر الحب ولو كنت واحدًا من ثلاثة فقط، أقصد أن القصة تتكرر ولو كنت محبوبا من طرف شخص واحد وكنتم فقط ثلاثة أشخاص، فإنك عرضة لخطر الشخص الثالث إذا دخل في دوامة الصّراع الوهميّ فسوف يشتغل عقله بالطريقة نفسها ويمكر المكر نفسه لنزع الحب منك، فالأمر لا يتعلق بالكثرة أو القلة، فإخوة يوسف لم يتقبّلوا حب أبيهم ليوسف، **إذ قالوا ليوسف وأخوه لأحبُّ إلى أبينا مِنَّا ونحن عصبة إن أبانا لفي ضلال مُبين**[1].. فالحبّ كان من قِبَلِ شخص واحد فقط وهو أبوهم ومع ذلك كان ما كان.. و إنّ التاريخ يذكر الكثير من القصص قُتلَ أبطالها أو كانوا عُرضة للمؤامرات وللمكر، فقط لأنهم كانوا محبوبين سواء من طرف العامّة أو من طرف الأشخاص، لذا أنك إن تُحَبْ يعني قد تُؤْذى من أولئك الذين يعيشون صراعات وهمية..

[1] الآية 08 من سورة يوسف.

هل أنت منهم؟

عندما ترى أخًا أو صديقًا لك، أو عندما تقابل شخصا آخر لك معه معرفة شخصية بغض النظر عن درجة قرابتك له، أو حتى عندما يكون شخصا لا معرفة شخصية لك معه، وكان ذلك الشّخص محبوبا من طرف العامة، كيف يكون شعورك؟ هل يكون عاديا؟ أم أنك تصاب بنوع من الغيرة، تلك الغيرة الممزوجة بالحسد غير المبررة أبدا..

أم تراك حينما تقابل ذلك الشخص المحبوب تبدأ بطرح أسئلة على نفسك وتجيب عليها، تبدؤوها بقولك: لماذا هو محبوب هكذا؟ ثم تبدأ في وضع إجابات عديدة فإن كنت تعرفه، فسوف ترجع إلى التاريخ لتأتي منه بأي خطأ ولو كان صغيرا، ثم تبدأ بنفخه والاجتزاء منه حتى تجعل من خطئه ولو كان صغيرا جرما كبيرا لا يستحقه فاعله أي حب من أيّ نوع من طرف الناس..

أما إن كنت لا تعرفه فسوف تبدأ في تأليف بعض التّوقّعات لبعض الأفعال والمواقف التي سمعتها عليه، لتستنتج أنه لم يفعل شيئا بشكل عفويّ بل قام بما قام به لأجل غاية يريد

الحصول عليها، ثم تصل إلى نتيجة هي أن النّاس لا تفرّق بين الصّالح والطّالح وأنّهم مخدوعون فيه فقط..

ثم لتبدأ بعدها في رحلة تشويه سمعته والنّيل منها، أو حتى النيل منه هو شخصيًا وبطرق شتَّى، إن كنت فعلا تفكر بهذه الطريقة وقتها لتتأكّد أنّك سجين لدوّامة طويلة للصّراع الوهميّ الذي دخلته ولن يكون لك الخروج منه بسهولة، سوف تراه منافسا لك على شيء، أبشّرك أنت ساعتها منهم فعلا، أنت من أصحاب الصراعات الوهميّة..

قد يكون ذلك الشّخص غير عالم بحالك ولا يعنيه أصلا شعورك تجاهَهُ، الخاسر الوحيد سيكون أنت، أنت من أدخلت نفسك صراعا غبيا لا يعنيك أصلا وبدأت تبحث عن مداخل لتغذية ذلك الصّراع، في الأخير ستتعب وما كان من الناس من حب اتجاهَ ذلك الشخص لن يتغير لأنك أنت تريد تغييره أو لأنّك أنت لم تحبّ ذلك.

يقول الله تعالى في كتابه العزيز: (**أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ على مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ**)[1].

ويقول الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، في حديث قدسي يرويه عن ربّه الذي رواه البخاري عن أبي هريرة: (**إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحْبِبْهُ فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ**).

مسألة حبّ النّاس للآخرين هي مسألة مفصول فيها سواء كانت بعلاقة عموديّة بين العبد وربّه وهو أن الله جعل له القبول والحبّ بين النّاس، أو هي بعلاقة أفقية تتحكّم فيها معاملة بين الشّخص والآخرين تحت توفيق أكيد من الله، أنت بتدخّلكِ سوف تتعب نفسك فقط، لن تنال من أحد بصفة حقيقية غير نيلك من نفسك إن كُشف أمرك وكُشِفتْ طُرُقك الخبيثة للحلول بين الناس وحبهم، وإن لم يكشف أمرك واعتقدت أنّك أذكى من أن تكشف ألاعيبك فأقول لك اقرأ هذه القصّة للبدوي الذي نجى وللأمير الذي قُتل..

[1] الآية 54 من سورة النساء.

كان البدوي رجلاً بسيطاً وقد دخل على المعتصم بالله خليفة المسلمين أيّام الدولة العبّاسية، وقد أُعجب المعتصم بذلك البدويّ وأحبّه وقرّبه إليه في مجالسه، فغار وزير المعتصم من البدويّ ومكر له كل المكر لجعل الخليفة المعتصم يكره ذلك البدوي فيأمر بقتله أو إبعاده ونفيه، وكان من مكر الوزير أنّه قام بدعوة البدوي على الطّعام في بيته وطبخ له وأكثر الثّوم على الطعام، فلمّا أكل البدوي وانتهى من الأكل، قال له الوزير احذر أن تقترب من أمير المؤمنين فيشم رائحة الثوم فإنه يكره رائحته، ثم ذهب الوزير إلى أمير المؤمنين وقال له: إن البدوي يقول للناس إن رائحة فم أمير المؤمنين تؤذي كل من يتحدّث معه لنتنها، فغضب الأمير وطلب أن يأتوه بالبدوي وقد دخل البدوي على أمير المؤمنين ويده على فمه كي لا يشمّ أمير المؤمنين رائحة الثوم، فظن أمير المؤمنين لما رأى البدوي واضعا يده على فمه، أن كلام الوزير صحيح وأن البدوي يضع يده على فمه كي لا يشم رائحة فمه هو..

هنا غضب الأمير وكتب كتابا مكتوب فيه أنّ حامل هذا الكتاب يُقْتَلُ.. وأعطى الكتاب للبدوي وقال له خذه للقائد فلان..

فلما كان البدوي خارجا ظنّ الوزير أن أمير المؤمنين أعطى مكافأة للبدوي مكتوبة على الكتاب، فلحقه الوزير وقال للبدوي أعطيك ألفي دينار وأعطني أنا أنفذ المهمة بدلا منك، فوافق البدوي فورا..

فلما أوصل الوزير الكتاب للقائد ضرب عنقه، تنفيذا لأمر أمير المؤمنين.

وصل الخبر لأمير المؤمنين فسأل البدوي لماذا أعطيت الكتاب للوزير، فأخبره القصّة منذ البداية حتى النهاية، ثم قال البدوي للأمير، لله در الحسد ما أعدله، بدأ بصاحبه فقتله..

يذكر صاحب كتاب لا تحزن بأن الحاسد يشعل فرنا ساخنا ثم يقتحم فيه. التنغيصُ والكدرُ والهمُ الحاضر أمراض يولدها الحسد لتقضي على الراحة والحياة الطيبة الجميلة. بلية الحاسد أنه خاصم القضاء، واتّهم الباري في العدل، وأساء الأدب مع الشرع، وخالف صاحب المنهج.

يا للحسد من مرض لا يؤجر عليه صاحبه، ومن بلاء لا يثاب عليه المبتلى به، وسوف يبقى هذا الحاسد في حرقة دائمة حتى يموت أو تذهب نعم الناس عنهم.

كل يصالح إلاّ الحاسد فالصلح معه أن تتخلى عن نعم الله وتتنازل عن مواهبك، وتلغي خصائصك ومناقبك، فإن فعلت ذلك فلعله يرضى على مضض، نعوذ بالله من شر حاسد إذا حسد، فإنه يصبح كالثعبان الأسود السام لا يقر قراره حتى يفرغ سمه في جسم بريء[1].

بالنظر إلى قصة الوزير والبدوي، فإن الوزير كان وزيرا يأمر فيُطاع ذو جاه ومال ورأي، كان مقربا فعلا من الأمير ومن كل أركان الدولة، ومع ذلك عندما دخل دوامة الصراع الوهمي قتل نفسه.

تعال قارئي الكريم ولنطرح مع بعض تساؤلا، ترى ماذا لو استمر الوزير في عمله ولم يعر حبّ الأمير للبدوي أي اهتمام وتعامل مع تلك المرحلة بكل عفويّة وتلقائية ماذا كان سيحدث؟ حتما كان سيبقى على منصبه وكان أكبر شيء سيتحصّل عليه

[1] عائض القرني: لا تحزن، دار البرهان، بيروت، ط 19، 2006، ص 35

البدوي من حبّ الأمير هو بعض العطف وبعض المال ثم يذهب إلى سبيله، أو قد يكون أكثر من ذلك مثل أن يتحصّل على وظيفة في الدّولة ويُعطى بعض الصلاحيات، بماذا كان سيتضرّر الوزير من كل هذا؟ قطعا لن يضره شيء من كل هذا.. فلِمَ أقحم الوزير نفسه في صراع قضى عليه في النهاية هو ليس طرفا فيه أصلا؟

قد يقول أحدهم أن حبّ الأمير للبدوي قد يتطوّر ليجعل منه منافسا لمنصب الوزير، أقول هذا إن حصل وتسارعت الأحداث لحدوث ذلك، فساعتها يكون الوزير في صراع حقيقي وليس وهمي وساعتها يمكنه التصرف بناء على ذلك، وسيكون له أكثر من سبب لفعل كل ما من شأنه الدفّاع عن منصبه.

ليس من حقك أن تستغرب قارئي الكريم، نعم قد يكون أوّل واحد يمكن أن يؤذى هو أنت، إذا أسلمت نفسك إلى تلك الصراعات فكّل أمر سيّء سوف يحدث ولن تتمكن من معرفة خطورة ذلك، إلاّ حينما يقع فعلا وساعتها سوف تبحث عن مخرج لكن أطمئنك لن تجد أي مخرج يعيدك إلى البداية، كل تصرّفاتك بعدها ستكون مثل المساحيق أغلبها مفضوح..

يقول **ديفيد هيوم**: الكراهية هو شعور غير القابل للاختزال، وغالبا ما يؤدّي إلى تدمير الكاره والمكروه معا..

ماذا أنت منهم؟

دعني أطرح عليك بعض الأسئلة جرب أن تكون منطقيا في الإجابة جرب أن تتجرد من كل تلك الرغبات الغبية وكل تلك الأحاسيس الغريبة التي غالبا ما تُشعرك بالنقص غير الحقيقي، لماذا تظن أن كلّ من حاز ولو بعض الحبّ أو لكثير من الحب من طرف الآخرين أو من طرف أحدهم، لماذا تراه منافسا لك؟ لماذا تظنّ أنه كان يجب أن تكون أنت ذلك المحبوب وليس هو.؟

أليس غريبا أن تطلب شيئا ليس لك وتحاول برهنته والبناء عليه وكأنّه أخذ حقك من حبّ الناس؟

أليس الأمر غريبا حقا؟ تُرى ماذا لو كدت ومكرت كل الكيد وكل المكر ثم انتزعت ذلك الحبّ من ذلك الشَّخص وفضحته ونجحت كُّل النَّجاح في كل خُططك حتّى دمرته ثم تنصَّبت

الأكثر حُبًّا والأكثر قبولا منه، ترى هل تقبل أن ينافسك أحد ويسعى سعيك ذاك ويحاول أن ينتزع منك ما انتزعته من غيرك؟

إذا صدقت نفسك فسوف تقول: لن أقبل وسوف تعتقد أن ذلك الشخص غيورٌ حسودٌ لئيمٌ ناكرٌ، إذا صدقت نفسك فسوف ترى ذلك الشَّخص شريرا لا يُؤتمن حاله ولا يُؤمن جِواره، ثم إذا ساعفتني وصادقتك نفسك مرة أخرى، سوف تجيب عليها، لقد كنت أنا أيضا هكذا؟

تُرى ساعتها هل ستسميّ نفسك اللئّيم النّاكر الغيور الماكر الحسود.. أم أنّ صِدقك لنفسك قد توقف عند وصف ذاك فقط.؟

سيكون من العدل أن تجيب على نفسك، لكنّي أعتقد أنّك إذا جبُنت فلن تستطيع وضع إجابة وستتحايل وتتجاوزه، وإذا مكرت فسوف تبرهن عليه عقليا وبوهم آخر على أنَك لست مثل أحد.. لكن في الحقيقة أنت مثل الجميع فقط أنت إمّا جبنت وإمّا مكرت، ستكون مختلفا عن الكلّ إذا صارحت نفسك وأجبت بكل صدق..

أنت لست منهم، أنت أفضل..

إن ذاك الذي حاز الحبَّ من طرف الآخرين سواء كانوا كثيرا أو قليلا أو حتّى وإن كان ذاك الحبّ من طرف شخصٍ واحد، قد تحصل عليه بطريقة أو بأخرى صدّقني لا يهمّ كيف حدث ذلك، إنّ أمره لا يعنينا أنا وأنت لا يعنينا أبدا، كما أن حبهم له لا ينقص منك شيئا، أنت أفضل، بوسعك أن تكون أفضل منه والأكثر تأثيرا وحبًا وقبولا، الحبُّ ليس كمية أخذها ذاك وانتهت وعليك أن تنتزعها منه وإلاّ فلن يكون لك..

صدّقني إنّ معاملتك وطريقة تصرُفك، صراحتك، صدقك، إخلاصك، مساعدتك للآخرين، ستجعل منك الأحبّ منه والأجدر منه في ذلك، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: **جُبلت القلوب على حبِّ من أحسن إليها، وعلى بعض من أساء إليها**.. إنّ فطرة الناس مهما اختلفت المنطقة وتنّوعت فهي واحدة والكل يحبّون من يحسن إليهم، إن بيدك كسب الحب وكسب القَبول،

فقط أنت من يملك ذلك بدون دخولك في صراع وهميّ يقضي عليك أو يقضي على الطّرف الآخر.

جرب أن ترجع معي إلى قصّة يوسف، ألم تمكر زليخة كلَّ المكر لجعل يوسف يحبّها؟ هل نجحت؟ ألم يكن عاقبة مكرها أن فُضحت؟.. ثم انظر كيف انتهت القصّة حينما غيّرت طريقها من المكر والكيد إلى التّوبة وإلى طريقٍ صحيحٍ واضحة معالمه في الأخير كان لها ما تريد..

في الحقيقة أنت لست منهم أنت لست صاحب صراع وهميّ أنت الأفضل، فقط إنّك تنسى وتتسرّع، إن نفسك تنازعك للسوء وللوهم، جرِّب أن تُغيّر طريقة تفكيرك وأن تسعى للحبّ بكل صدق بدون تمثيل ولا أذى تصيب به الآخرين وصدقني ستكون الأحب، الطريق سهل جدا وغير مكلف فلِمَ تدخل في طريق كله صراعات وهم وعاقبته كلّها خسارة وفضائح وهمٌّ وخوف.

ثم دعني أقول لك إن السّعي وراء حبّ الناس، كما قال الأوّلون غايةٌ لا تُدرك، فلمَ تشغل نفسك بالبحث عن الحبّ؟؟ صدقني إنّك ستقابل من لا يعترف لجميلك بشيء لن يحبّك ولو

فعلت ما فعلت لأنّ هناك الكثير من النّاس يعيشون صراعات وهميّة ولن يقبلوا منك شيئا، ولن يجازوك ولو بقليل من الحبّ، فلمَ تشغل نفسك وتتعبها.. حَسِّن من نفسك ولا تتدخَّل في أمور غيرك ولتكن كل أفعالك نابعة من نيّة طيّبة صادقة ولتدع الأمور ترتب نفسها، صدقني سيحبك الصادقون والطيبون أمثالك ولتدع أصحاب الصراعات الوهميّة لوهمهم، فأنت لست منهم..

2- احذر من حسن معاملتك..

العنوان ليس غريبا كما تعتقد بل هو واقعيّ جدًا، فقط أنك تتسرّع، إنك تتسرّع في رفض كل ما هو غير مألوف بالنسبة إليك، عليك أن تعتاد على مثل هذه العناوين إنّها موجودة دائما هنا، لأنّنا نعيشها دوما، فقط نحن نحب تزييف الحقائق كي تتوافق مع رغباتنا، نحن نحب تلوين الأشياء نحب أن نجعلها تبدو أكثر بهاءً، أكثر جمالا، نحن نحب أن نجعل أعمالنا كاملة كي تذكر على ألسنتهم ونزداد رفعة..

تُرى لو كان العنوان هو: عليك بحسن المعاملة أو فوائد حسن المعاملة.. أو أيّ عنوان من هذا النّوع كان سيبدو لك منطقيا أكثر، لكن هذا فقط نتاج عادة مألوفة مكرّرة لقراءتك لعناوين مثلها، عناوين تحفيزّية مستهلكة، نحن نحبُّها ونحبُّ أن يراها الكلّ هكذا، لأننا نظن بل نعتقد كلّ الاعتقاد أنّ هذا يجعلنا سعداء بتلك المعاملة الطيّبة الحسنة التي بادرنا بها.. لكن دعني أطرح عليك سؤالا وعِدني ألّا تجيب عليه إلاَّ بعدما تنهي قراءة هذه الكلمات الخاصّة بهذا العنوان.. ولن تجيب حتى

أعطيك أنا الإشارة كي تجيب.. ثم دعني مرة أخرى أتخيّل أنك وعدتني بذلك، شكرا لتفهّمك..

سؤالي لك هو: هل صحيح أنّ حسن معاملتك للآخرين سيعود عليك بالخير والفائدة أيًّا كان نوعها ماديَّة أو معنويّة، وأنَّ حُسن المعاملة بصفة عامة يجعلُ صاحبها يلقى القَبول والحبّ.. عند الناس؟

هل صحيح ذلك؟ لا تنسَ أنّنا اتّفقنا على أنّك لن تجيب على تساؤلي حتّى تكمل القراءة وحتّى أسمح لك أَنا بالإجابة..

جاء في القصص المشهورة عبر التّاريخ أنّ أعرابية وجدت في الغابة صغير ذئب فأشفقت عليه وأخذته فربته وقد كان ذلك الذّئب الصغير يرضع من حليب شاة الأعرابيّة حتّى كَبُر وبلغ مبلغه من القوّة..

كانت الأعرابّية تذهب لحلب الشّاه كل يوم، لتأتي هذه المرة وتجد الوضع على غير العادة، وجدت جرو الذئب قد بقر بطن الشاة وأكلها.. لتقول الأعرابية أبياتها الشعرية المشهورة..

بَقَرْتَ شُوَيْهَتِي وفجَعْتَ قَلْبِيْ.. وأنت لشاتِـــــنا ولدٌ رَبِيبُ

غُذيتَ بضرعها ورُبِيتَ فِيْنَا.. فَمَنْ أنبأك بِأَنَ أَبَاكَ ذِيب

إِذَا كَانَ الطِبَاعُ طِبَاعَ سُوْءٍ.. فَلاَ أَدَبٌ يَنْفَعُ وُلا طُبِيْبُ

اعلم أَنَك تراها قصّة مستهلكة قصّة أقرب إلى الخيال منها إلى الحقيقة، ولو اتّضح لك بما لا يدعو مجالا للشّك أنّها حقيقية فسوف لن تُعدم الخروج من هذا، بقولك: ما علاقة عنوانك بقصّة كان الغادر فيها ذئب معروف غدره ومكره وشره..

صدِّقني إنَّ طريقة تفكيرك تُعجبني، إنّك تفكر بعقل سليم، مالنا وللحيوانات، أين نحن وأين هم..

طباعهم غير طباعنا.. أكمل معي الطريق إنه لازال في بدايته، أتمنى أنك لم تمل بعد..

أنا لم أقصد أبدا الشّيء الذي أتممت قراءته الحين في هذا الجزء، كما أني لم أقصد ذلك المفهوم المُعَلَّبْ الذي ألفناه وتعودنا على سماعه، لأنني أعلم جيّدا ولأنّك تعلم جيّدا ولأنّهم يعلمون جيّدا أنّه مستهلك، والكلّ حدثت لهم قصة أو اثنين من هذا النّوع، لو سألت أيّ واحد من البشر من أيّ منطقة كان وفي أي سن كان، لأخبرك أنه قد لاقى جراء إحسانه إساءات كثيرة، صدِّقني الكل يعرف مقولة: اتّق شر من أحسنت إليه وجلهم

يحفظ **الآية الستين من سورة الرحمان . (هل جزاء الإحسان إلاّ الإحسان)**[1] ويردّدونها باستعجاب حينما يلاقى إحسانهم بإساءة..

إنّهم يحفظون المثل الشّهير: جزاء سنمار، بل ويردّدونه دائما حينما يُريدون أن يعبّروا عن نكران الجميل، أنا وأنت والكلّ يردّد ذلك سواء كان تصريحا أو تلميحا، ردّ الإحسان بإساءة أصبح أمرًا مفروغًا منه، والناس ملّت من القصص المشابهة عبر التّاريخ، فالكلّ لديهم قصص مشابهة ولو تفرّغوا ورتّبوا أفكارهم لحكوا الكثير الكثير، هذا الأمر لم يعد غريبا، حتى أنّك لو تجرب أن تحكي لأحدهم كيف قمت بأعمال جيدة إزاء أحدهم وكيف خانك وردّ عن كل ذاك الإحسان بإساءة فلن يتفاعل معك بالشكل المطلوب وبالحماس الذي قد تنتظره منه بعد سماع قصتك، لأن لديه منها الكثير..

الأمر ليس هذا، عنواني لا يتحدث عن كل هذا، احذر من حسن معاملتك للآخرين، لا يقصد كل الذي قرأته، على الأقل في كتابي هذا.. الأمر مختلف عن ذلك تماما..

[1] الآية 60 من سورة الرحمان.

احذر من حسن معاملتك، أنا لا أحذّرك كي أنهاك عن التعامل بالحسنى، أنا لا أحذّرك هنا لكي تغيّر معاملتك من حسنة إلى سيئة، أنا لا أحذِّرك لهذا الشيء، الأصل هو أن تحسِن المعاملة في كلّ ظرف وأن تكون معاملتك حسنة طيبة مهما اختلف الزمان والمكان ومهما تغيّرت عقليات الناس فأنت تمثل نفسك لا تمثل ردة فعلهم مهما كان نوعها، لكن صدّقني عليك أن تحذر من حسن معاملتك.. أنت تسأل لماذا؟ أجيبك أخي فقط حاول أن تفهمني بكل صدق بكل تجرّد وبكل محبة..

عليك أن تكون في كامل الحذر من حسن معاملتك، فليس الشّر و المعاملة السّيئَة والكذب والخداع... ليست تلك الصِّفات فقط ومن على شاكلتها، من تجعل تصنيفك بين الناس، سيّء ومخادع وإنسان شرير.

صدقني ولتركز معي، أن حسن المعاملة وكل مظاهرها وكلّ الأفعال التي تدلّ عليها مثل: الطيبة وتقديم المساعدة والمبادرة والكرم... حينما يساء فهمهم من أنفسٍ مريضةٍ و عقليات مختلّة تتحكم فيها شهوات غير مبررة، فإن تصنيفك بين الناس سيكون أسوء وأخطر من أن تكون شريرًا وكاذبًا ومخادعًا.

حينما يساء فهم تصرّفك مهما كان نبيلا، من طرف أصحاب الصّراعات الوهمية الذين يحاولون إعطاء أسباب عديدة لأن يجعلوا تصرفك غير المألوف عندهم على أنه تصرف غير بريء بل هو تصرف خبيث له ما بعده، أنفسهم المريضة التي تعيش ذلك الصراع الوهمي، والتي ترى كلّ فعل حسن أو فيه فائدة للآخر على أنه غير حقيقي بل هو تمثيل لأجل الحصول على أمر ما..

دعني أبسط الأمر أكثر، لنفترض أن أي واحد قام بأي فعل حسن، مثل: إعانة أحدهم أو الوقوف بجانب أحد آخر في مشكلة ما، أو إظهار بعض الكرم وبذل بعض المال سواء لأجل تقديم مساعدة أو لأجل الكرم في ذاته، أو اللّعب مع أطفال صغار والضّحك معهم وإكرامهم ببعض الحلوى.. وما إلى ذلك من التصرفات الحسنة، حينما يرى أصحاب النفوس المريضة أفعالك تلك أو أي فعل منهم فتأكد أنهم لن يقرؤوا تصرفك ذاك كما هو، بل ستكون عُرضة لتفسيرات عديدة جدا، آخرها هو أنّك فعلت ذلك بدون انتظار مقابل، لن يضعوا هذا الاحتمال أبدا، ببساطة لأنّهم لا يعرفونه إطلاقا، وفاقد الشّيء

لا يعطيه.. هم لا يعرفون البذل دون الأخذ ولا يعرفون العطاء دون مقابل، كل تلك التصرفات الحسنة التي قمت بها هي تصرّفات لا وجود لها في قواميسهم ولا في تاريخهم، كل أفعالك بالنسبة لهم هي أفعال لها ما بعدها..

هم دخلوا دوامة الصّراع الوهمي الآن، والعقل يبنى على آخر اعتقاد ويستدعي من نوعه وبإلغاء كل شيء لا يتوافق مع اعتقادهم ثم يبدأ ذلك بالانتشار حتى يصبح راسخا عندهم أنك تسعى لشيء ما تريد الحصول عليه بالحيلة في ثوب الطيبة والمعاملة الحسنة، ساعتها أنت عندهم لست قديسا أبدا أنت إبليس..

إنك تستخدم الحيلة وتتودّد، إنّ أفعالك كلها مفضوحة لدينا، ثم سوف تُكره، نعم ستكون مكروها لديهم بدون سبب بل ستكون أكثر أنواع البشر كرها لديهم، وسوف يحاولون تشويهك بكل الطرق والتحذير منك، إنك الخطر الحقيقيّ، لأنّ شرّك غير واضح وغير صريح لذا أنت أخطر من الأشرار ومن الكلّ، لأنّك تستغبي النّاس والنّاس قد خُدعت فيك.. للأسف دعني أخبرك أنّهم يتّحدثون عن فعلك ذلك الذي كنت تقوم به

وأنت سعيد. لأّنه فعل طيّب وكانت معاملتك جيّدة . إنّهم يقولون عكس ذلك وقد بدأ الكلام ينتشر..

لا تتعب نفسك سوف يصدقهم الكثير أمثالهم من الذين هم أيضا عرضة للصّراع الوهمي والذين قد يكونون يعيشون صراعا وهميا في جهة أخرى مع شخص أو مجموعة أخرى من النّاس، لا تظن أن هاته الفئة التي تحدّثنا عنها أنها قليلة، أو أنك نادرا ما تقابل شخصا يعيش صراعا وهميا بناء على تصرف نبيل منك، أنت مخطئ أخي، إنهم في كل مكان، في مكان عملك سواء كانوا أصدقاء لك أو منافسين، في بيتك بعض إخوتك في الشّارع الذي تسكن فيه، في الملعب في المقهى في معرض الكتاب، على الشّاطئ، أمام المحل التي تقتني من عنده أشيائك.. إنّهم في كل مكان بل قل أنه لا يخلو منهم مكان ولا زمان..

إنّهم يفسّرون فعلك النبيل وحُسن معاملتك التي قد تكون في الغالب عفويّة على أنّها خِدعة منك ويا لها من خدعة، هم يرون أنك تخدع الأبرياء وأنّ الناس سذج لأنهم تقبّلوا أفعالك وأعجبوا بها، إنّ الصّراع الوهمي الذي دخلوه بناء على حسن

معاملتك جعلك في أعينهم أخطر الناس وأبشعهم نعم أنت منافق في تصورهم..

لذا عليك أن تحذر من حسن معاملتك وأن تتوقع أن تُعامل بعكس ما تنتظر أو بعكس حسن تعاملك بالضّبط، عليك أن تنتظر سوء المعاملة النّاتج عن سوء التأويل من أصحاب الصّراعات الوهميّة..

ما أريد قوله لك، إنّ سوء الفهم والتأويلات الغبيّة لأيّ تصرف منك مهما كان نبيلاً، فإنه سيُحكم عليك بشكل معاكس تماما لما تريد فعله..

لا تعتقد أن سوء تأويل حسن معاملتك سوف يتوقف عند حدٍّ معين من الكلمات فقط مثل محاولة تشويه سمعتك وينتهي الأمر، بل قد يتعدّى ذلك إلى الأذى المادّي، جاء في القرآن في **الآية 82 من سورة الأعراف** قول قوم لوط لنبيّهم: (**اخرجوا آل لوط من قريتكم إنّهم أناس يتطّهرون**..)[1] نعم قد يكون ذنبا عظيما أن تكون طاهرا، عند أولئك الذين أسلموا نفوسهم

[1] الآية 82 من سورة الأعراف .

للصّراعات الوهميّة، فهم يرون طُهرك فاضحا لعهرهم، وكرمك مظهرا لبخلهم، وطيبتك وخيرك كاشفان لشرّهم وخُبثهم..

إنّ هذا النّوع من البشر الذين يعيشون صراعات وهمّية دائمة بناءً على حسن تصرّف أحدهم، هم بالكثير وليس بالقليل كما يعتقد البعض، قد يكونوا الأكثر انتشارا بين جموع النّاس، قد لا يظهرون لك بشكل واضح لكنّهم يظهرون بشكل مفضوح عند أول فرصة تقابلهم سواء كانت كرم كبير لأحدهم أو تضحية قام بها آخر لا ينتظر من تضحيته أي مقابل أو أي شيء من هذا القبيل.. إنهم يعيشون صراعا كبيرا مع أنفسهم والشك يراودهم دائما بل هو الأساس عندهم..

لذا عليك أن تتعلم كيف لا تستسلم لنفسك التي ستستدرجك دائما لدخول صراعات وهمية قد تنعكس على نوع تصرفك مع الآخرين.. وإليك هاته القصة التي حدثت لصديق مقرب، وكيف استطاع تجاوز صراع وهمي كادت نفسه الأمارة أن تستدرجه إليه ليخلف وعده..

حكى لي صديق مقرب مرةً أنه كان مع عمها حينما سألها عن حال دراستها، لتجيبه أنها على مشارف اجتياز الامتحان النهائي

لشهادة التعليم الابتدائي، ليعطيها وعدا أمام عمها أنها إذا نجحت بتقدير جيد فإنه سيقدم لها هدية..

يقول أنه بمرور أكثر من شهر سمع الناس تتحدث عن نتائج التعليم الابتدائي وأن النتائج قد ظهرت، ليتذكر وعده للصغيرة، ثم كيف دخل في حوار مع نفسه، التي بدأت بطرح الكثير من الأسئلة عليه، مثل: هل ذلك الوعد يعد وعدا ملزما أم أنه مجرد كلام قيل للتشجيع فقط؟ يا ترى هل تلك الصبية تتذكر ذلك الوعد أم لا..؟ هل أفي بوعدي أم أتنصل منه بحجة أنها صغيرة قد تكون نسيته ونسيه عمها؟ أو من الأحسنِ نسيانهُ ونسيان القصة بأكملهَا، وتجنب إمكانية الخسارة المادية التي تكون بتحقيق الوعد عبر شراء الهدية..؟؟ يقول أنه كاد يقنع نفسه بالتنصل من الوعد ونسيان القصة، لكن وفي لحظة مصارحة مع نفسه تراجع كل التراجع ليقرر إتمام وعده وعدم الرجوع فيه، لأنه شعر أنه أقرب للجبن والخيانة منه للشجاعة والوفاء، قرّر تجاوز ذلك الصراع مع نفسه، ويتصل بعمها ليسأله عن نتائج الصغيرة ليخبره عمها أنها تحصلت على واحدة من المراتب الأولى بتقدير ممتاز وأضاف أنها تنتظر هديتها قالها

بلهجة مزاح (وينهو الكادو نتاعها) يخبرني صديقي أنه أخبر العم أنه جاهز لشراء أي هدية تطلب، فقال له حسنٌ سأسألها ماذا تريد هدية..

بعد مرور يوم اتصل عمها ليخبره بقليل من الحياء، أنها تريد جهاز لوحي.(tablette). فقال له إن شاء الله عن قريب..

قال صديقي أنه بعد سماع نوعية الهدية التي تعد مرتفعة الثمن قليلا، وأن هدية مثل تلك تقدم في كثير من الأحيان للمقربين كالإخوة أو أبناء العمومة أو الخلان.. ليدخل في نفس تلك الدوامة التي طرحت أمامه أكثر من سؤال... تلك الأسئلة التي تكون كثيرة والتي في الغالب تكون من نوعية لمَ كل هذا..؟ يضيف صديقي أن تلك الأسئلة حاصرته وكادت تجعله يفكر في الكيفية للتنصل من الوعد مرة أخرى عبر المماطلة والتركيز على عامل الوقت للنسيان.. لكن ومرة أخرى استطاع أن يهزم نفسه ويتجاوز ذلك الصراع ويخرج من تلك الدوامة الوهمية، ويذهب مع عمها ويشتري الجهاز اللوحي ويقدمه للصغيرة..

يصف صديقي تلك اللحظات فيقول: أنها كانت لحظات عظيمة في أن أتغلب عن نفسي الأمارة بالسوء التي كانت

تجاهدني كي أدخل صراعا معها، تستدرجني فيه للإخلاف بوعد قطعته تمهيدا لأن أخلف وعودا كثيرة تحت حجة، وماذا بعد.. أو وما فائدتك أنت من كل هذا..

نعم كانت لحظات عظيمة تغلبتُ فيها عن نفسي بكل قوّة، يضيف صديقي فيقول: دعك من الجانب المادي في الموضوع فإنه ليس ذو أهمية كبيرة بل الأمر الذي يعجب وجعلني أكثر سرورا هو الوفاء بالوعد وتجاوز إملاءات غبية من النفس، وتجاوز إمكانية الدخول في صراع وهمي لا أساس له كاد يجعلني مخلفا للوعد ومراوغا أو قل كذابا.. والذي يعجب في الأمر أكثر هو تلك الفرحة الحقيقية للصبية الصغيرة التي جعلتني أشعر بفرحة مماثلة لها وذلك الشعور بالفخر والعظمة في أني كنت سببا في تلك السعادة و الابتسامة والسرور الكبير الذي بدا على وجه المجتهدة الصغيرة.. نعم هي متعة لا يعرف حقها وعظمتها إلاّ من كان فعله وتصرفه خالصا وكانت نتيجته فرحة وسعادة وسرور للآخرين..

كن مثل الشّاب ودعك من الجماهير..

أقام سيد غني عشاءً عظيمًا تتخلّله مفاجأة لم يُفصح عنها، وأرسل دعواتٍ شخصيّة لكلّ أهل مدينته الذين كانوا يعملون في كرمه ومصانعه، ولَمَّا اقتربت السّاعة، تجمهر الناس خارج باحة قصر السيّد الغني؛ لكنْ ما من أحدٍ كان مستعدًا للدخول.

وكانت تساؤلات عديدة مدار أحاديثهم وهم واقفون خارجًا. فقال واحدٌ: "لا شك أن السيّد يريد أن يجمعنا كلّنا في قصره، لكي يقبض علينا ويسجننا، لأنه ربّما لاحظ تقصيرًا ما في عملنا، وقال آخر: "إنّ السيد حريصٌ على أمواله، لا بدّ أنه سيطالبنا بديوننا المتضاعفة، ونحن عاجزون عن تسديدها. إنها فرصة سانحة ليفعل ذلك".

وأضاف ثالث: " لا شكّ أنّ السيّد سيُلزمنا بالفوائد المترتّبة علينا، فيستعبدنا له، بل ويستعبد أبناءنا. وما هذا العشاء سوى تغطية لِسَنّ قانونه علينا، ولتقييدنا بسنداتِ دفعٍ تُرافقنا حتى مماتنا".

وهكذا راح البعض ينسحب من أمام القصر، رافضًا دعوة السيّد، وراح البعض الآخر ينتظر خارجًا مشكّكًا بنيّة السيد وهدفه من وراء هذا العشاء العظيم. لكن شابًا واحدًا، كان يستمع إلى أحاديث أهل المدينة، لم يكن موافقًا على تساؤلاتهم وتشكيكهم، فصمّم على الدخول، برغم نظرات الآخرين ووشوشتهم، وكانت المفاجأة دقّت ساعة العشاء وأُقفل باب القصر، وعاد الجميع إلى بيوتهم، بينما تمتّع هذا الشاب بالعشاء العظيم مع السيد الغني ورجاله الأمناء، ومع أنه كان الوحيد الذي لبّى الدعوة، لكنّ المفاجأة التي خبّأها السيد، أُعلِنَت في نهاية العشاء، وقد كان كلّ مَن يَحضر يحصل على عفوٍ نهائي، من كَرَم السيد وجوده، عن كل الديون والفوائد والموجِبات. فخرج الشاب حُرًّا وفرحًا، بينما خسِر كلُ أهل المدينة بسبب رفضهم وشكّهم وسوء ظنّهم..

كن أنت ذلك الشّاب ودعك من تِلْك الجماهير الموسوسة والتي تأوّل كُلّ فعل جيّد على أنَّ وراءه قصد ما غير معلن، دعك من إعطاء التّأويلات غير المبررة عن كُلّ فعل تراه، والتي أنت في غنى عنها، سوف تبدو غريبا بالنسبة لهم بل قد يرونك ساذجا

وغبيًا، وقد يتّهمونك بأمورٍ لا وُجود لها أصلا، لكن تذكّر أنّك لست منهم ولست مثلهم، أنت لا تعيش صراعًا وهميًا مثلهم، إنّ زانية الحيّ تودُ لو أنّ كل نساء الحيّ زنت، فلا تكن ضمن الكل حيث ما مالوا تميل، أنت كيان مستقل فلا تخدع باجتماعهم فإنك وإن تحسبهم جميعا فإن قلوبهم شتى..

إنك إن تعطي أي تأويل لأي فعل بغير ظاهره، فلتسامحني إذا.. أنت فتحت بوابة الصّراع الوهمي وأنت على مشارفها، إنّك ستُدفعُ فيها دفعا حتى تدخل صراعًا وهميًا قد يقضي عليك قبل أن يقضي على الطرف الآخر، أنت لا تملك نيّة الآخرين كما أنّك لا تعلم مبتغاهم من أيّ فعل، كلّ شيء عندك هي فقط شكوك وتوقُّعات أغلبها غير صحيحة، فلمَ تتعب نفسك وتجهدها بشيء أنت في غنى عنه..؟؟

إنّ لك فقط ظاهر الأمور وهو خيار واضح إما أن تأخذ به أو تدعه، فلما تُدخل نفسك مُدخلاً يفتح عليك آلاَف الأبواب التي قد تصوّرها لك نفسك وأغلبها سيكون بغير مبتغى الذي قام بالفعل، تأكد سوف تتعب ولن تخرج من الأمر إلاّ بكره من قام

بالفعل وبإجهاد نفسك وتحميلها ما لا تريد فطريا ولا تتحمَّل واقعا.

لحق أسامة بن زيد بأحد المشركين في معركة وقبل أن يقتله قال المشرك: **أشهد أن لا إله إلا الله**، ومع ذلك قتله أسامة، ولما رجع قصَّ أسامة الحكاية لرسول الله فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم: أقتلته بعد أن قال لا إله إلا الله؟ قال أسامة: ما قالها إلاّ خوفا من السلاح، فقال النبي صلى الله عليه وسلم معاتبا أسامة: أفلا شققت عن قلبه فتعلم أقالها أم لا؟

طالما لا نملك شق القلوب ومعرفة ما فيها، فلمَ سوء الظّن بأفعال الآخرين؟

يقول **عمر بن الخطاب** رضي الله عنه: لا تظن بكلمة خرجت من أخيك المؤمن شرًّا، وأنت تجد لها في الخير محملاً..

وقد قيل قديما: إنّ أطول مسافة بين شخصين هي سوء الفهم.

أعود إلى سؤالي ولك حرية الإجابة الآن، هل صحيح أنّ حسن معاملتك للآخرين ستعود عليك بالخير والفائدة أيًا كان نوعها مادية أو معنوية وأن حسن المعاملة بصفة عامة يجعل صاحبها

يلقى القَبول والحب.. عند الناس؟ هل صحيح ذلك؟.. لك الحريّة في الإجابة، لكن جرّب قبل أن تُجيب أن تعيد قراءة ما جاء تحت هذا العنوان مرة أخرى..

ـ لا تبرّر كل أفعالك.. توكل وستنصر..

جاء في القصص أن الإمام الشافعي، كان في قمّة الشهرة بين الناس والعطاء، وأنه كان ذو تأثير كبير عليهم، وكان يحضر حلقته خلق كبير تتزاحم فيه الركب، وكان الإمام الشافعي حسن التصرف مع طلابه وغيرهم من الناس، سمح الوجه طيب المعاملة، فقيه عالم يشد إليه الرحال، وذائعٌ صيته في كل الدنيا، وقد شهد له بذلك كل أهل زمانه، ويقال أنه وفي يوم كان جالسا وسط تلامذته على معتاد يومه يدرسهم وينصحهم، فجاءته جارية وقالت له يا إمام: أتزني بالليل وتخطب بالنهار ؟ فنظر تلاميذ الشافعي له بكل غرابة وحيرة، منتظرين إجابته ونفي هذه التهمة فنظر الشافعي للجارية وقال لها: يا جارية، كم حسابك؟ فثار تلامذة الشافعي، منهم من صاح ومنهم من قام

ليمشي فقال لهم الشافعي: فلتعتبروني مثل التمر كلوا منه الطيب وارموا النواه فلم يعجب التلاميذ بهذا ووسط هذا اللغط جاء رجل مسرعاً يقول:- يا جارية إن بيتك يحترق وبداخله أبنائك فجرى كل من كان موجودًا باتجاه المنزل بما فيهم الشافعي وحين وصلوا وأنقذوا الأطفال، فقالت الجارية قالت نادمة إن اليهود هم من حرضوها على فعل ذلك.

. ويقال أن الذي سلطها على فعل ذلك أناس آخرين دافعهم الغيرة من شهرة الإمام وعلمه . هم من سلطوني لأفعل هذا حتى تهتز صورتك وسط تلاميذك فنظر التلاميذ متسائلين للشافعي عن عدم نفي التهمة عنه فقال الشافعي لو كنت نفيت التهمة كنتم ستقتسمون لفريقين، فريق لن يصدقني ويستمر في تكذيبي وفريق يصدقني ولكن يشك في قرارة نفسه، فأحببت أن أفوض أمري كله لله.

لا تبرر كثيرا مهما أحسست بالظلم و سمعت من افتراء، إذا كانت نيتك صافية وعملك عفوي وكلامك صادق، ساعتها فوض أمرك كله إلى الله فهو عالم بما خفي عن البشر، وهو ناصرك ولو بعد حين..

إن تبريرك مهما كان قويا ومنطقيا فإنك حتما ستجد من لا يتقبله ومن سيبحث عن مخرج لتفنيده، ودحضه، وإخراجه عن سياقه، وسوف تكون مجبورا لأن تضيف حججا وبراهين أخرى لإقناعه، ولن يقتنع في الغالب لأن الأساس الذي انطلق منه غير سليم، لذا لا تبرر كلماتك أو تصرفاتك دائمًا فالعقول السيئة لن تستوعب النية الحسنة و تذكر أنه أسير صراع وهمي، وستضيع وقتك معه وفي الغالب لن تخرج بنتيجة ترضيك أبدا، لذا وفوض الأمر كله لله، وهو نعم الوكيل..

يقول **باولو كويلو**: لا تبرّر، فالناس لا تسمع إلاّ ما تريد أن تسمعه..

اجعل فعلك صافيا نابعا من قلبك ومن نية طيبة ودعك من هديرهم، ورعودهم، ومن زلازلهم الوهمية، فإنّها لا تعدو إلاّ أن تكون مثل زبد البحر، سوف يصدق كلامهم وإشاعاتهم المبنية على سوء التأويل، الذين هم أمثالهم من أصحاب النفوس المريضة النافخين في الكير، المستعدين دائما لوضع الزيت على النار، وذلك لأنهم أيضا أسرى لصراعات وهمية غبية، وأسرى لنفوسهم المريضة، و لا تقلق أبدا فإنه سيكون هناك من يحمل

فعلك وكلامك على نية طيبة وتقبل تام، يقول **باولو كويلو** أيضا: لا تبرّر ولا تشرح فأصدقاؤك لا يحتاجون إلى ذلك، وأعداؤك لن يصدقوك..

تذكر دائما قول **وودي آلان** حين قال: لا تبرّر رغباتك لأحد ولا تحاول أن تصحّح فكرتهم عنك لأن لا أحد مرّ بتفاصيل قصتك إلاّ أنت نحن لا نكتمل بأحد ولا نضيع من دون أحد، نسعد بمن بقي وننسى من نسي، ولا تنسَ أبدا قول **فرويد**: لا تبرر كلماتك في كل مرة يساء فهمك فيها، فالعقول السيئة لن تستوعب النية الحسنة..

خذها قاعدة من **الإمام الشعراوي** حين كان يقول: للذين يشكون من الناس نكران الجميل ونسيان المعروف أقول لهم أنتم المستحقون لذلك، لأنكم جعلتموهم في بالكم ساعة أنفقتم عليهم ولو جعلتم الله في بالكم لما كان ذلك منكم.

يكفي أن يكون تصرفك سواء كان عملا ماديا أو قولا يكفي أن يكون أساسه سليما، وتكون معاملتك صالحة بنية طيبة صادقة، ثم دع كل شيء بعدها لله متوكلا بيقين النصرة دائما، فستنصر ولو بعد حين، حتى ولو بدا لك غير ذلك في البداية،

لكن تأكد أن الله ينصر كل متوكل بحق، وأن حبل الكذب والاتهام والإشاعة وإن طال قصير وهش..

3- سَتُحَارَبُ لأنّكَ مُخْتَلِفٌ..

كان اللّون أحمرا حينما كان متوقّفا راكبا في سيارته وكان الطّريق المقابل له فارغا، لكن وبعد مدّة قصيرة بدأ يسمع أصوات أجراس السّيارة التي خلفه والتذمر بادٍ على وجوه راكبيها، وكان فيهم من يخرج يده ويصرخ ويتلفّظ بكلام قبيح..

لم يفهم الأمر بعد لأنّ لون إشارة المرور مازال أحمرا.. لكن بعد لحظة أصبح أخضرا، لينطلق بسرعة عاديّة وهو يسمع تلك الأصوات والفوضى من ورائه.. كل شيء مرّ بسرعة، لم يفهم شيئا، لم يفهم لماذا كل تلك العصبية وذلك التسرع ولماذا كانوا غاضبين؟ هل كان عليه أن يتوقع أنّ اللّون الأخضر كان سوف يضيء في تلك اللحظات، وعليه أن يهيئ نفسه للانطلاق بسرعة، لم يفهم الأمر كان في حيرة مع أنه كان يطبّق القانون بدقّة..

بدأ يتساءل هل كانوا سيستعملون أجراس سياراتهم وهل كانوا سيسبّونه ويغضبون لو أنّه انطلق بسرعة قبل اشتعال الضوء الأخضر، خاصّة وأنَّ الطَّريق كانت فارغة، أم أنّهم كانوا سيتبعونه بسرعة وبرضى؟

فكَّر قليلا ثم توصل إلى إجابة وهي أنّهم لن يفعلوا ذلك، لأنه عندما فعل عكس ذلك حدث وأن تذمّروا وغضبوا.. بل بالعكس سيكون ذلك مطلبهم، قال في نفسه: ألن أخالف القانون بهذا؟

سكت قليلا ثم قال أيّهم أفضل أن أتلقى وابلا من الشّتم والأصوات المزعجة وأتقبّل ذلك، أم هل أعصي القانون لأنال رضاهم.. هل عليَّ أن أكون ضمن الجماعة لأتجنّب السبَّ والشتم ونظرات الاستهزاء، فأميل حيث يميلون وأكون معهم فيما يكونون، وأقول ما يقولون وأتصرّف كيفما يتصرفون، لكن ماذا لو كانت الجماعة على خطأ.. هل أبقى معهم على خطئهم أم أتجنّبهم وأتصرف بما يجب من اتباع للقانون والحق والمبادئ والإنسانية، هل أتحدّى اتّحادهم أجمعين وهم على خطأ وأستقلّ بموقفي وتصرّفي، أم أتبعهم لخوفي وجبني من نظراتهم وكلماتهم وتصرفاتهم..؟

ظلَّ صديقنا هذا يتساءل كثيرا، لم يجد إجابة مرضية للكل، استمر في طريقه محتارًا، يبحث عن طريقة مثالية، لكنه عبثا يبحث إنّه فقط يتعب نفسه ويجهدها لأجل لا شيء.. إرضاء

الكلّ درب من دروب المستحيل ولن يحصل على إجابة حقيقيّة طالما استمر بالتّفكير هكذا..

صدقني إنّك إن استسلمت لخوفك وجُبنك واتّبعت النّاس في كل أمر ستجعل من نفسك أسيرا لرغبات وأهواء غريبة ومتناقضة، في كلّ مرة ستبدو بشخصّية معيّنة، سوف تلغي شخصيّتك تدريجيا حتّى تكون بلا شخصّية، ستبدو أبلهًا في أعينهم وضعيفا معقّدا مع نفسك، ستحاصرك الوساوس ولن تستطيع التّعبير لا عن الحبّ ولا عن الكره ولا عن الرضى ولا عن السخط لن تستطيع أن تعيش سعيدا ولا حتّى تعيسا، سوف تكون متقلّب المزاج كل أفعالك هي لإرضاء أحد ما، وكل تصرّفاتك هي مجرّد تمثيل لإرضاء أحد آخر، أنت لن تكون أنت بل أنت تحاول أن تكون هم، أنت تمثل كل مرة دورًا من الأدوار لإرضاء أحدهم، أنت الذي يعيش الصراع الوهمي الآن..

إنّك داخل دوّامة الصّراع الوهمي، كلّ تصرّفاتك كلّ أقوالك كل حركاتك هي نابعة من خوف كبير من الذين ينظرون إليك الذين هم حواليك، أنت تحاول إرضاءهم بتقليدهم في طريقة لبسهم نوع كلماتهم أو حتى لهجتهم وحركات أيديهم مشيتهم

تسريحة شعرهم، في رفع صوتهم أثناء الحديث أو خفضه مع بحّة مصطنعة و إرخاء أهداب عيونك، أنت تحاول إقناع نفسك أنك تقوم بالشّيء الصّحيح في كلّ مّرة، لأنَّ هذا ما يرضي الكلّ في كلّ موقف، تأكَّد أنّك ستقنع نفسك بذلك وسوف تمارس كلّ تلك الأمور وستتقمّص كلّ تلك الأدوار دائما، لكن لتتأكّد أيضا أنك في نظرهم أنت دائما تابع ذليل لا تجيد شيئا، أنت في نظرهم مقلّد حقير مدفوع على الأبواب، ولو سألت لمنعت ولو قُلتَ لكُذِّبْتَ و لو وضع الترتيب لأخِّرت وما قُدِّمت..

إنّ الصّراع الوهميّ الذي أدخلت نفسك فيه هو نتاج لخوفك وجبنك من الآخرين، فحينما تصرّفت بغير تشابههم وتميّزت، أرعدوا وأزبدوا وسبوا وهدّدوا، فخفت وجبنت فرضخت، إنَّ تميّزك مرّة واحدة فقط يكفي لأن يلفت انتباههم إليك فيحاولون التأثير عليك بكلّ الطّرق مباشرة أو غير مباشرة لأن ينقلوا إليك رفضهم التام لتميزك عليهم، لأنهم ببساطة يعانون العجز للقيام بما قمت به وجعلك تتميّز، وهذا يرجع لمجموعة من العُقد النّفسية المتراكمة عبر الزمن..

قد يتبادر إلى ذهنك سؤال لماذا يُحَارَبْ كل متميز؟ أو بتعبير مخفّف من عندك تقول: لماذا يرفض الكثير من النّاس تميّز البعض، لماذا يقوم البعض بالتّفكير بإيذاء المتميزين، أليس كان من باب أولى أن يقوموا بمساعدتهم خاصة إن كان التميز في أمر مفيد؟ إنّ الإجابة على هذا السُّؤال قد تأتيك من الكثيرين على أنَّه يجب أن ترجع بالأساس إلى طريقة تفكير أولئك، ووضعهم في المجتمع، بل في المجتمع بالأساس الذي تربوا فيه وأثر عليهم.. والكثير من الأسباب الأخرى، لكن دعني أقول لك إنّها كلّها أسباب صحيحة لكنّها ليست كلّها حقيقيّة، إنّ السبب الحقيقي لرفض أولئك لتميز أولاءِ هو لأنهم دخلوا دوّامة الصراع الوهميّ..

إنّهم يعيشون صراعات وهميّة كثيرة وكبيرة تّجاه كل من يحاول التّميز عليهم والقيام بأفعال لا يستطيعون فعلها لأنهم لا يملكون أصلها وفاقد الشّيء لا يعطيه، إنّ نفوسهم المريضة تصوّر كلّ فعل جيد على أنّه تهديد لسمعتهم وأنه يضعهم في حرج، قد يجعل من فاعل الفعل أكثر قبولا وحبا منهم، إن نفوسهم المريضة تأبى أن تراك متميزا عليهم بأفعالك الحسنة وتصّرفاتك الجيّدة تجاه النّاس، لأنك تساعد هذا وتضحك مع

ذاك وتكرم أولئك، لأنّك تشتري هدايا لأولئك الصّغار تشجيعا لنتائجهم الدراسية وهم يحبّونك، لأنّك تسعى للصّلح بين متخاصمين لأنك تخسر من مالك ووقتك... هم يشتاطون غضبا منك، إنك في أعينهم خطر حقيقي تُهدد سمعتهم، لا تستغرب أخي الكريم، هم دخلوا دوّامة الصراع الوهميّ، إنّهم يحسبون كلّ فعل عليهم، سيفكرون في إيذائك لا يهم نوع الأذى معنوي كان أم ماديّ، لكنّهم لن يدعوك، فإمّا أن تكون مثلهم أو أن تُحَارَبَ من طرفهم.

ثم لا تعتقد أن هذا الأمر خاصّ بك وبمجتمعك الذي تراه متخلّفا نوعا ما، أو خاصّ بمحيط البعض من الذين يرون أنّ البلد الذي يسكنونه هو بلد غير منفتح على ثقافات العالم والتنّوع الرّهيب الموجود، لتسمح لي أن أقول لك إنّك مخطئ أخي الكريم، إنّ الكلّ بدون استثناء وفي كل المجتمعات وفي كلّ البلدان، كانت متطوّرة أو متخلّفة، الكل بدون النظر إلى موقعهم معرضٌ تميّزهم للنّقد وللرفض ولكل أشكال المحاربة لكلّ أفعال التّميز، من طرف الذين يعانون من الصّراعات الوهميّة، كما أنّ الكلّ مُعرَّض لأن يدخل دوّامة الصّراع الوهمي

مهما كان موقعه على الخريطة.. بفارق وحيد فقط وهو نوع التصرف ونوع ردّة الفعل.

الأشخاص في الدّول المتقدمّة والمجتمعات المتحضرة تكون أفعالهم المتميّزة في مجالات قد لا تكون نفسها في الدّول المتخلّفة والمجتمعات غير المتحضرة، لكن المبدأ واحد وصحيح وهو أن الصّراع الوهميّ لا يسلم منه أحد لا في أي مكان ولا في أيّ زمان.

هم التسعة رهط الذين يفسدون..

قد لا أملك لك نصيحة مثالية تجعلك تكون متميّزا مختلفا عن الكلّ، من دون أن يتألَّب عليك التّسعة رهط الذين يفسدون ولا يصلحون، لكن عليك أن تتأكّد أن تميّزك واختلافك عن العامّة سيجلب لك الأعداء، لكن عليك أيضا أن تكون في غاية الطمأنينة لأنّهم أعداء وهميون تسيطر عليهم أوهام، تتحكّم فيها رغبات شاذّة لا علاقة لها بنوع فعلك وطريقة تصرّفك، عليك ألا تتذمّر أبدا، بل يجب أن تستمر في فعلك لأنّهم لن يرضوا عنك طالما تتميّز..

لم يسلم أحد عبر التّاريخ أبدا من نقد أولئك ولا من همزهم وغمزهم، كُل من تميّز كان يجب أن يدفع ضريبة لتميّزه واختلافه، حتى أعظم وأشهر البشر عبر التّاريخ، سواء كانوا أنبياء أو فلاسفة أو علماء أو مشاهير.. قد عانوا كثيرا وكان لزاما عليهم دفع ضريبة تميّزهم، منهم من حاولوا تشويه سمعته ومنهم من أوذي في ماله وعرضه وشرفه وأهله، ومنهم حتى من قُتِل، نعم قد تكون ضريبة تميّزك أن تقتل أو أن تُهَجَر، لكن لتتأكّد أنَّ نجاحك وبقاء ذكرك عبر التاريخ مرهون بتجاوز عقدة النُقص التي أنتجت صراعًا وهميًا للتّسعة رهط الذين يفسدون ولا يصلحون والذين هم متواجدون دائما في كل مكان وفي كلّ زمان، وهم في سعي دائم لأن تكون إمّا مثلهم وإمّا أقل، لذا لن يقبلوا أن تتميز عليهم وتختلف، وستحارب بشتّى الطرق، يقول **الإمام الغزالي** رحمة الله عليه: ليت أولئك الأقزام يرضون أن نحملهم على أكتافنا ليروا الأفق البعيد، لكن للأسف هم لا يرضون إلاّ بتقطيع سيقاننا حتى نتساوى معهم في القامة..

النَّبي محمد صلى الله عليه وسلم، كان الأمين والصّادق وكان أطهر فتى في مكة نسبا وجمالا وهيبة وحضورا، لكن ما إن أراد التّميز عن قومه، ورفضه لما يقومون به، رفضه لعبادة الحجر، ووأد البنات، واستنكار الفاحشة، عدم شربه للخمر، ابتعاده عن الزنى، وغيرها من الأمور التي كان قومه يعكفون على القيام بها، حتّى أصبح يُنعت بالساحر والكذّاب والمُفَرّقْ والكاهن والدّجال، فقط لأنّه رفض واقع الحال الذي ألفه قومه وقاموا عليه دهورا، حتى تآمروا واجتمعوا لقتله، وقد ظل ذلك المكر قائما من أولئك حتى سمّموا له كتف الشّاه في محاولة لقتله، نعم أنا أتفّق معك أنّه رسول، وهناك ألف سبب لمحاولة قتله، لكن تأكّد أنّ المبدأ واحد وهو التّميز ورفض الواقع المعاش بكل سلبياته..

وقبله كان جدّه إبراهيم الذي ألقي في النار، لرفضه عادات قومه وعبادتهم الخاطئة في عبادة الحجر من دون رب البشر، ليجتمعوا عليه في قول واحد وهذا ما ذكر في القرآن (**قالوا حرقوه وأنصروا ألهتكم، إن كنتم فاعلين**..)[1]، فجمعوا الحطب

[1] الآية 68 من سورة الأنبياء

ووضعوه في وسطها، وقد كان من بين الذين قالوا احرقوه نصرةً لبقاء العادة والمألوف في عبادة الحجر. كان أبوه . لا تستغرب قد يكون أوّل من يفكر في إيذائك نتيجة تميّزك هم أقرب الناس إليك، سواء كانت القرابة من ناحية الدّم أو من ناحية الصّداقة أو أي نوع.. إنّ ضريبة التّميّز غالية وعليك أن تستعد دائما، لكن عليك أنّ تتأكد كل التأكد أن عاقبة تميّزك هو النّصر وتخليد عملك عبر التاريخ..

لم يقتصر الأمر عند النّبيان محمد وإبراهيم فقط بل كل الأنبياء قد حوربوا نتيجة ثورتهم وتميّزهم ورفضهم لأفعال قومهم، فكانت ضريبة ذلك إما القتل أو التّهجير أو التّعذيب..

وفيهم من أحرق حيا، فقط لأنه تميز بقوله عن أقوال أقرانه فكانت النتيجة أن حُرِق، على غرار العالم والطبيب وصانع الخرائط والباحث المهتمْ بالإنسانيات الإسباني الذي قدّم أبرز ما قدّمه في حقل الطب، خاصة في ما يتعلق بدقة الدورة الدموية بين القلب والرئتين، رفض سيرفيتوس المذهب الثالوثي الأرثوذكسي بشكل كامل، ودافع عن رفضه لهذا المذهب في وجه الكنيسة، وصرح سيرفيتوس بأن ما يعتقده هو أن الله واحد،

وبحسب اعتقاده، فإن أشخاص الثالوث في المعتقد الأرثوذكسي هم أشكال، اختار الله أن يتجلى فيهم، وهكذا يكون المسيح هو إنسان خلقه الرب، وبشريته هذه تمنعه من أن يكون إلهًا. دفع سيرفيتوس حياته ثمنًا لتبني هذه المعتقدات، وكانت النتيجة أن حُرق على وتد خشبي في مدينة جنيف بسويسرا، وحُرقت معه كل مؤلفاته.

نعم قد تكون النتيجة أن تحرق على وتد خشبي، وذلك بتآمر من الذين رأوا فيك تميزا على أفكارهم، مهما كانت قامتك أو شهرتك أو حتى مكانتك بين الناس فإن هذا لن يمنع من أن تحارب بكل الطرق فقط حينما تخرج عن المألوف وتتميز.. لذا عليك بالحذر دائما، وبالتفاؤل دوما مهما كان مكرهم شديد فقد يخلد ذكرك أنت وينسون هم..

اطمئن قد يخلد ذكرك مثل سقراط..

كان يدعو النّاس عبر فكره لأن يعرفوا أنفسهم وغايتهم من الحياة، كانت تعاليمه حول كيف يعرف الإنسان نفسه، ويرقى من الرّذيلة إلى الفضيلة عبر الفكر والتعلم والتبصر في النفس، ومع ذلك كانت تهمته، إنك يا سقراط تفسد الشباب اليوناني في أثينا بأفكارك، لتنادي أصوات بسجنه ثم محاكمته حسب قوانينهم ليصدُر الحكم بإعدامه، نعم قد تكون نتيجة تميّزك بفكرك أن تعدم، لكن هل يذكر أحد القضاة الذين حاكموا سقراط؟ أو الذين لفقوا له التّهمة بعد التّهمة؟ كلا لم يُخلَّد التاريخ أحدا إلاّ سقراط، إن تميزك بفكرتك سوف يُخلّد ذكرك ويُرفع شأنك عبر الزَّمن..

وهذا الأمر تكرّر مع الكثير من الشّخصيات سواء كانوا في الدِّين أو في العلم أو في السِّياسة أو في الفنّ وفي كلّ المجالات الأخرى، لا تعتقد أن الأمر متوقف عند أولئك المشاهير لتظُن أنّ الأمر يعنيهم فقط وذلك للهالة المحيطة بهم، كلا إنّ الأمر يخصُّ الجميع دون استثناء، إنه يخصك أنت ويخصّني أنا ويخصُّ

صديقك وأخاك وابن عمك وأباك والكل.. ثم لا تعتقد أنهُ يجب أن تتميّز بشكل كبير لتلفت الانتباه ثم لتحسد ثم لتجعلهم يفكرون في إيذائك سواء ماديًا أو معنويًا، صدقني إنّك تأخذ الأمر باستهزاء، ولتأخذها قاعدة لا تقسم على اثنين، وهي أنّ الكل مهما كان شأنه صغيرا أو كبيرا، ومهما كان حجم الفعل أو تأثيره، فالكل معرض لأن يُنظر إلى عمله المتميز بطريقة غير بريئة أبدا.

طالما أنّك تتميز في أمر ما، فلتتأكد أنّ هناك من سيدخل دوامة الصّراع الوهميّ بسبب تميّزك، وهذا لا يَسلَمُ منه أحد مهما كان، لذا فإن نجاحك من فشلك هو مرهون بطريقة تعاملك مع النّقد الذي قد يُوجَّه إليك مباشرةً مثل صاحبنا الذي كان متوقفًا عند إشارة المرور في القصّة الأولى، أو قد يأتيك على شكل ردود أفعال من الكثيرين، لذا فإن طريقة تلقيك للأمر ونوعية تصرفك هي المُحدَّد الوحيد لنجاحك أو لدخولك معهم تلك الدوامة للصّراع الوهميّ.

4- أن تكره دون سبب..

إنّك لم تخطئ في قراءة الجملة، إنّني أقصد القراءتين معا، سواء كانت الجملة بفتح التاء في كلمة تكره، وكنت مصدر الكره ومُصَدِّرَه، أو كنت قرأتها بضمها، لتصبح المقصود بالكره ويكون مُوَجّها إليك، إنّك على الصّواب كيفما قرأت، لأنّني أقصد معنى ودلالة الجملتين معا..

دعنا نخرج من كيفية قراءة الجملة، ولنتّفق على جملة أخرى أكثر بساطة ووضوح، لتكن: الكراهية بدون سبب، نعم الكراهية بدون سبب، ليست جملة غريبة بل هي واقعيّة جدا، منذ بداية التّاريخ إلى يومنا هذا، وستبقى ما بقيت البشرية، إنها إحدى مظاهر الصراع الوهمي الذي اتّفقنا في البداية على أنه سيتعبك أولا، بل قد يقضي عليك، وسيتعب أطرافا أخرى وقد يقضي عليهم أيضا..

أعلم وأعلمُ أنّك تعلمُ جيّدا أن لكلّ فعل سبب، حتى وإنّ كان الفعل هو الكراهية، فيجب أن يكون لها سببًا معيّنًا بل وجيهًا، إنّك تقول إذا فكيف تحدث الكراهية بدون بسبب؟

كيف أكره أو أُكْرَه بدون سبب.؟ صدِّقني أنا مثلك تماما مؤمن جدا بأنّ لكلّ فعل مهما كان نوعه سبب معيّن، لكن دعنا نتساءل هل الأسباب التي تدفع للكراهية هي أسباب حقيقة أم مزيّفة؟ هل هي أسباب واقعيّة أم وهميّة؟ أليست أغلبُ الأسباب التي تجعلنا نكره أو نُكْره هي مجرد أسباب وهمية لا أساس لها؟ ألم تكن البداية في أننا قد أقنعنا أنفسنا تحت تأويلات معينّة لأفعال ما، ثم أعطيناها الحق في إصدار الأحكام والتّعليق على الأحداث والأفعال بما يتوافق مع طريقة تفكيرنا وبما يتناسب مع حالتنا فاخترعنا أسبابًا لا صحَّة ولا وجود لها أصلا لأفعالهم لنُنتِجَ نوعًا من الشّعور الخاطئ الوهمي سميناه الكراهية.. أليست هاته هي الحقيقة.. ربّما.

كانوا كلهم مطرودين معذّبين مهجّرين منفيين إلى الجزر البعيدة، كانوا الأكثر فسادا وإفسادا في الأرض، لكنّه كان يختلف عنهم، كان الأعبد بينهم والأصلح، ليرفع من الأرض إلى الملأ الأعلى، ليُكرم ويعامل بامتياز وشرف، من أرض السافلين ومن العذاب المهين إلى الملأ الأعلى مع ملائكة السّماء، كان سبب ترقيته وعُلو شأنه هو صلاحُه، وتفكيره بالطريقة الصّحيحة

وحسن عبادته، لينتقل من قاع الأسفل إلى سقف الأعلى، سنين عديدة وإبليس على تلك الحال، من علوِّ المكانة والشّرف والتّكريم، حتّى خلق الله بيده أول مخلوق كان آدم، خلقه بيده من طين فلما شكل جسمه، جاء إبليس ليرى هذا المخلوق الجديد، اغتاظ إبليس ونسي ما هو عليه من عبادته ورفعة مكانته، ليكره هذا المخلوق الجديد الذي لم تبث فيه الروح بعد، لم تكن تعلم الغاية لخلقه أصلا..

خاف إبليس من أن ينال هذا المخلوق الجديد مكانته، وينازعه قربه من الله، بدأ إبليس يطوف ويطوف طويلا حول جسم آدم، ثم يدخل داخله ويخرج ثم يدخل داخله ثم يخرج، ثم يقول إنّك أجوف إنك أجوف، ولأن سُلّطت عليك لأهلكنّك، وكان يقول للملائكة لا عليكم منه لأن سلّطتُ عليه لأهلكنّه..

توقف معي أخي هنا، آدم لم يكن في تلك اللحظة سوى جسم بدون روح، كان جسمًا واقفا لا يتحرّك ولا يتنفّس ومع ذلك اغتاظ إبليس وحسده، حتى كرهه كُرهًا شديدًا بدون سبب، إبليس في تلك اللحظة لم يملك الدّافع ولا السّبب لكره آدم، كرهه من دون سبب، الله عزّ وجل كان لم يأمر الملائكة أن

يسجدوا لآدم ولم يعرف أحد لمَ خلق هذا الجسم الجديد أصلا، ومع ذلك بادر إبليس بالكره واستسلم للنفس الخبيثة المريضة ليدخلها في صراع وهمي لا أساس له، لينسى عبادته وصلاحه وسلامه تفكيره، ما إن أوكل نفسه لنفسه التي رجعت لطبيعة الجان وواقعهم الفاسد والذي كان إبليس في القديم ينكر طباع الجانّ الخبيثة ويرفض عصيانهم وفسادهم ويتعامل بخلافهم، ممّا جعله يرفع وتعلى مكانته في السماء، حتى تبدأ مرحلة جديدة من حياة إبليس، عنوانها الصّراع، صراع وهمي أنتجه حسد غير مبرر ليهوي به من علياء السّماء مكرّمًا مقرّبًا، إلى أسفل الأرض طريدا بعيدا موعودًا بالعذاب، واستمرت تلك النّفس الخبيثة في ذلك الصّراع الوهمي التي أدخلت إبليس فيه إلى يوم الدين هذا.

عندما نفخ الله عز وجل في آدم، أمر الله الملائكة أجمعين أن تسجد له، سجد الملائكة كلّهم أجمعون لكن إبليس لم يسجد، سأله الله عز وجل لمَ لم تسجد لمَ خلقت بيدي؟ قال إبليس أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين، وهذا ما جاء في القرآن في سورة الكهف حيث قال الله عز وجل: (**وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ**

اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا)[1]

إنّ كُره إبليس لآدم بدون سبب جعله يدخل دوّامة الصراع الوهميّ الذي نتج عنه عصيان أمر الله عز وجل، لا تقل لي إنّ قُوة الحسد سبب كفيل لجعل إبليس يكره آدم، أقول لك حتّى ذلك الحسد كان وهميًا ولم يكن حقيقيًا أبدا، إبليس كره جسمًا أجوفًا لم تبث فيه الرُّوح بعد، ولم يعرف لا السّبب ولا الحكمة من خلقه، إبليس أنشأ تخيّلات ومخاوف ثم صدّقها ليدخل صراعًا وهميًا يستمر معه إلى الأبد.

صدِّقني أن تكره دون سبب تأكد أنَّك حبيس صراع وهميّ لا أساس له، ولتتأكّد أنّك في طريق خسران مكانتك مهما كانت عظيمة، إنّ الكره دون سبب سيجعلك ترتكب أخطاء لا تُغتفر لأجل تبرير كرهك وإيجاد أسباب وجيهة له لتدعمه، قد تجد الكثير من الحجج الجاهزة ومن التّهم المعلّبة لتدعم بها كرهك

[1] الآية 50 من سورة الكهف

المزّيف، لكن عاجلا أم آجلا ستفضح تحت أول اختبار وسيظهر ذلك للجميع في الكثير من المحطّات، انظر إلى إبليس رغم علمه وحسن عبادته لسنين وسنين وقربه من الله ومكانته في الملأ الأعلى، رغم كل ذلك، فإن كرهه لآدم بدون سبب في الأوّل، جعله يركّز كل تفكيره في ذلك الكره، وفي أول اختبار له كان جاهزا لأن يُفضح أمام الملأ الأعلى، بعصيانه أمر ربّه بالسّجود لآدم، لينتقل من الأعبد والمقرّب والمزكى إلى الموعود بالعذاب الطّريد الشّريد المغضوب عليه إلي يوم الدين.

وقد تكررت حكايات كثيرة عبر التّاريخ، تحكي عن أناس من الذين كان يشار إليهم بالبنان، سواء من ناحية المال، أو الجاه أو الجمال، أو السّلطة، أو الحكمة ورجاحة العقل، أو النّسب الرّفيع والمكانة العالية، لكن ما إن دخلوا وأسلموا للصراعات الوهمّية حتى تغّير حالهم وتبدل ذكرهم..

ـ احذر أن تتنازل عن أبي الحكم لأبي جهل.

كان الوحيد بينهم أجمعين الذي لقّب بذلك اللّقب، رغم وجود الكثيرين من أصحاب العقول والشأن والفطنة والمال والجاه والسّلطان، لكنه كان هو من دون غيره، قل لرجاحة عقله، قل لذكائه ودهائه، قل لقوّة بصيرته وعظيم مكانته بين قومه، قل ما تشاء فقد كان من أعظمهم بل كان أبرزهم، حتّى أنّ النَّبيّ صلى الله عليه وسلم دعا الله عز وجل، بأن يُعزّ الإسلام به، حين قال في الحديث الذي رواه التّرمذي في سننه وأحمد في مسنده وصححه الألباني **(اللهم أعزّ الإسلام بأحبّ هذين الرجلين إليك)** وقد كان الرجلين عمر بن الخطاب وعمرو بن هشام الذي كان يلقب بأبي الحكم، نعم قد كان هذا حاله وتلك صفاته، كان أبو الحكم لقب اختص به دون غيره من الرجِّال في زمانه، لكن انظر معي كيف تبدّل الحال يوم أسلم نفسه للكره بدون سبب ليدخل في دوّامة صراع وهميّ قضى على حاضره وتاريخه ومستقبله، وكيف تحوّل اللقب من أبي الحكم إلى أبي جهل، وكانت عاقبته الخسران..

رغم كل الصّفات التي اتصّف بها عمرو بن هشام والتي تَوجتهُ لأن يُنادى بأبي الحكم، رغم ذلك ما إن استسلم للنّفس الخبيثة وبادر بالكره بدون سبب حتّى فتح باب الصّراع الوهميّ ليدخله دون خروج حتى قضى عليه، نعم كان كرهه بدون سبب، قد سأله أحدهم لما رآه يتردد على بيت محمد صلى الله عليه وسلم في بعض الليالي يسمع القرآن خلسة، سأله الرجل وقال أصدقني يا أبا الحكم أتعلم أن محمدًا على حق، أم على باطل، فقال والله إنّي أعلم أنه على حق، فقال له الرجل عجبا فما يمنعك من اتّباعه، فقال أبو الحكم قد تنافسنا نحن بنو مخزوم، وبنو عبد مناف على الشرف أطعموا فأطعمنا وسقوا فسقينا، حتّى إذا تحاكت الرُكَب وكنّا كفرسي رهان، قالوا منا نبي، فمن أين نأتي بهذا..؟؟

توقف معي هنا قارئي الكريم، أبو الحكم كان يعلم أنّ محمدًا على حق، أبو الحكم بالرغم من كلِّ صفاته التي تحدّثنا عليها وكانت فيه، أبى إلاّ أن يبادر بالكره والعداء، بسبب حسده من نبوّة محمد التي كان يعلم أنّها اختيار من السّماء وتشريف من الله، لكنّه فضل النكران والكفر ونشر الكره وإظهاره على أنّ

يعترف بنبّوة كان يعلم أنها حقٌ، في تلك الأيام من الدّعوة لم تكن هناك شرائع لا صلاة ولا زكاة ولا صوم، ولم تحرَّم الخمر ولم يحرّم الميسر ولا المتاجرة بالعبيد، أي أنّ أبا الحكم لم يكن مُطالبًا إلاّ بكلمة التَوحيد لا إله إلاّ الله محمد رسول الله، دون شرائع قد تمسّ جاه وتجارة ولهو ومكانة أبي الحكم، ومع ذلك كان سبيله الكفر نتاج الكره المدفوع بالحسد..

ليصبح أبو الحكم أبا جهل وفرعون الأمّة، وتكون عاقبته خسارة في معركة بدر، فما نفعته فطنته ولا جاهه ولا ماله ولا دهاؤه ولا حكمته، لأن يتبع الطريق الصّحيح وأن يزداد شرفا في الدّنيا ويكون مع الصديقين في الآخرة، ما إن اتخذ سبيل الكفر النّاتج عن الكره بدون سبب المدفوع بالحسد حتى خسر عظيم دنياه وشوه تاريخه ووُعد بالعذاب في الأخرة..

تعال أخي لننظر في الأمر معا من خلال القصتين، قصّة إبليس العابد وعمرو بن هشام الحكيم، ولنسمح لأنفسنا طالما لا أحد يرانا من البشر أن نحاول أن نضع لمسة خفيفة على كل قصّة ولنتوقع نتائجها كيف كانت ستكون، ودعني أنا أسأل ولتسمح لي أن أجيب أنا أيضا، لكن إن لم تقتنع أوقفني وحاول

أن تستفسر أكثر، هيا نبدأ بالتّساؤل الأوّل، ماذا لو سجد إبليس لآدم وأطاع الله ولم يستسلم للكره المدفوع بالحسد؟ أجيبك كان سيبقى إبليس المقرب العابد، كان ظل في الملأ الأعلى مع الملائكة، لم يكن ليطرد من السّماء ولا لأن يوعد بالعذاب.. أنت تسأل لكن إبليس خاف أن يهدّد آدم مكانته في الملأ الأعلى وخاف لأن يكون المقرّب منه عند ربّ السمّاء، أجيبك أخي بأنك تنسى ألم تقرأ أن إبليس بادر بكره جسم آدم قبل أن تبث فيه الروح وقال لأن سلطت عليك لأهلكناك وقال للملائكة لا تخافوا منه إنه أجوف ولئن سلّطت عليه لأهلكناه.

إنّ كره إبليس كان قبل أن يأمر الله عزّ وجل الملائكة بالسجود وقبل أن تعرف الغاية من خلقه، إن الكره الذي أبداه إبليس كان هو بوابة الصراع الوهمي الذي دخله فيما بعد وتمكن منه كلّ التمكن لأن جعله يرفض أمر ربه بالسجود لآدم، إن ذلك الرفض كان نتيجة لكره مدفوع بحسد غير مبرران بالمرة، ليطرد المقرب ويبعد وينزل من السّماء إلى الأرض ويوعد بالعذاب المهين، والدليل على أنه كان سيبقى على مكانته ولم يكن ليُنازعَ عنها هو مكانة الملائكة في الملأ الأعلى قبل وبعد خلق

آدم، قبل وبعد السُّجود له، لم تُهَدَّد مكانتهم ولم يتغير وضعهم، وإبليس كان سيحافظ على مكانته ووضعه، لو لم يبادر بالكره بدون سبب، لو لم يدخل دوَّامة الصراع الوهمي الذي جعله يعصي أمر ربه لوعد بالوعيد..

أيضا كيف كان سيكون أمر عمرو بن هشام، لو لم يبادر بالكره ويفتح بوابة الصِّراع الوهمّي، خاصّة وأنّه كان يعرف ويعلم كل العلم أنّ محمدا لم يكن ليكذب ولا لأن يخدع، الأكيد كان سيحافظ على مكانته وكان التّاريخ خلّد اسمه وكان الرب رضي عنه، بل ربّما لأصبح واحدا من الذين ولّوا أمر المسلمين فيما بعد ودانت له الأرض مثل ما حدث مع عمر بن الخطاب الذي كان خُصّ بالدعاء من النّبي صلى الله عليه وسلم في حديث: اللهم أعز الإسلام بأحب العمرين إليك، . كما أشرنا سابقا. ولكنه كره أن تكون النبوة في غير عشيرته، لتنفث النفس الخبيثة خبثها وتسيطر عليه ليفتح باب الصراع الوهمي الذي قضى عليه في معركة بدر صريعا وقد نتن ريحه في يوم حَرٍ في رمضاء مكة، وليوعد بعد ذلك بالعذاب الشّديد، وليسمى أبو جهل بدل أبو الحكم، وفرعون الأمّة بدل حكيمها، كل هذا لأنه

أسلم لخبث نفسه وبادر بالكره بدون سبب لتسيطر عليه الأوهام لتدخله في صراعات كان في غنى عنها.

تذكَّر أنك حينما تكره دون سبب تأكد أنّك تضع سمعتك جاهك سلطانك، معزتك.. على الميزان، وأنت وحظك بعدها، فقد يخيل إليك أنّك ربحت، فتشوه سمعة كارهك وتنال منه، لكن لتتأكّد مرة أخرى أنك ستُفضح ولو بعد حين، ولك في إبليس وأبو جهل آية.. إنَك إن تكره بدون سبب فهذا يعني أنك تغامر بمكانتك، وستخسرها لا محالة، لأن انطلاقك في الكره غير مؤسّس وسينهار في أول موقف حقيقي، سوف تدمّر نفسك، ستحاصرك الأسئلة التي تبحث فيها عن الكيفية التي ستبرّرُ بها كرهك، لتنتقل إلى الثّقة في أنّ لك الحق في الكره، والشّرعية لفعل ما تشاء، وستبقى أسير ذلك الكره حتى تَقضِي على نفسك، **يقول ديفيد هيوم**: أن الكراهية شعور غير قابل للاختزال ولا يمكن تحديدها على الإطلاق، وغالبًا ما يؤدي إلى تدمير الكاره والمكروه معًا.

لماذا نكره بدون سبب؟

أعتقد أننا اتّفقنا في البداية على كيفية قراءة الجملة، فهي مرفوعة التاء في تكره، وأيضا هي منصوبة في الكلمة نفسها، فقد تكون المقصود بالكره، أو قد تكون مصدر الكره.

صحيح لماذا نكره بدون سبب؟ لماذا في بعض الأحيان نكره أناسا قد نكون نعرفهم أو لا نعرفهم لا يهم، لماذا نكرههم بدون سبب؟ وأيضا لماذا يكرهنا أناس يعرفوننا أو قد يكونوا لا يعرفوننا أصلا؟

ترى ما سبب الكره بدون سبب؟ هل السبب نفسيّ، هل هو اجتماعي، أم تراه سياسي أو اقتصادي له علاقة بالجانب والمستوى المعيشي..

دعني قبل أن تمل من هاته الأسئلة أن أجيبك على التّناقض السطحيّ الذي بدأت تشعر به من خلال هاته التّساؤلات، إنكّ تقول، كيف يكون عنوان هذا الجزء من كتابك هو: أن تكره بدون سبب، ثم إنّنا نجدك تبحث وتضع أسئلة عن أسباب

الكره؟ إنّه يبدو لك تعارضًا غير منطقي، في أن أتحدّث وأستنكر حدوث شيء دون سبب، ثم أبدأ بالبحث عن أسبابه..

صدِّقني وقد قلتها لك غير مرة، إنك تعجبني، إنّ طريقة تفكيرك إنّ كنت قد فكَّرت بهذا الشّكل تعجبني كثيرا، بل هي تزيد من المسؤولية لديّ، وتجعلني أكون أكثر حذرا من ذي قبل، أما إن كنت لم تلاحظ ذلك، فنصيحتي لك، حاول أن تقرأ بجدية أكثر وبتركيز أفضل..

دعنا نعود إلى الخلط الذي وقع بيننا، ولتسمح لي أن أعرب عن إعجابي بسلامة تفكيرك مرة أخرى، وليتسع صدرك لإجابتي..

قبل أن أجيبك على هذا التعارض الذي بدا لك، ما رأيك أن نلقي نظرة على أسباب الكره التي تحدّث عنها الكثير من الكُتّاب، هناك مقال للكاتب مرتضى معاش، بعنوان: لماذا نكره الآخرين؟ **نشر على مجلة النبأ-العدد -47- سنة 2000 تحت عنوان: التواصل مع الآخر لتأصيل منهجية التعايش**، يتحدث المقال عن الأسباب التي تجعل الناس تكره بعضها البعض، ويذكر الكتاب أن هناك خمسة أسباب تدفع الناس لكره بعضها

البعض، سأحاول ذكر تلخيص لها ثم نعود للإجابة على سؤالنا الذي كان حول التّعارض بين عنواني، الكره دون سبب، ثم البحث عن الأسباب للكره.

السبّب الأوّل: الذي يذكره الكاتب هو سبب نفسي، إذ يرى أنّ النّفس البشريّة حينما تُسِرف في تقدير ذاتها وتستعلي على الآخرين وتحسّ بالتفوّق فإنّها ترفض الاعتراف بغيرها، ويُضاف إليه سيطرة النزعة الأنانية والتي تريد احتكار كل شيء لصالح منافعها الخاصّة، فتنشأ الرّغبة بإصدار الكره على كلّ شيء خاصة إذا كان متميزًا ممّا يجعل تلك النّفس تتحرّك على نحو دفاعي لتحافظ على تفوّقها، إذًا فالكاتب يرى بأنّ من أسباب تصدير الكره هي الأنانية والشعور بالتفوق والاستعلاء.

السّبب الثّاني: للكره حسب المقال هو سبب ثقافيّ، إذ يرى صاحب المقال أنّ الكثير من الجماعات والأفراد قد اكتسبوا سلوكيات عديدة نتيجة التّكوين سواء كان المباشر أو من خلال التّلقي أو من خلال التّواصل مع المجتمع، ممّا أكسب الفرد منذ صغره الشّعور بالتّفوق على غيره، والإحساس بثقة عمياء في نفسه وصحة فكرته المطلقة والإيمان المطلق بجماعته سواء

كانت ظالمة أو مظلومة، أيّ التّعصب للفكرة وللقوميّة أو الدِّيانة، ممّا جعل أمر الكره لديه أمر متجذّر فيه، إذ أنه نابع من ثقافته التي دأب على كسبها منذ سنين.

السّبب الثّالث هو: سوء الظّن بالآخرين، وهذا راجع للتّجارب السّيئة التي يمرُّ بها الإنسان في الحياة فهي تجعله يشكّ بالآخر ويسيء الظَّن بالجميع خُصوصا عندما لا يستخدم التّحليل المنطقي في الاستفادة من تجاربه، وكذلك فإنَّ التربية الأسريّة والاجتماعية لها دور في إساءة الظّن عندما يُعمّم استنتاجاته بشكل كُليّ. فالفرد عندما يواجه ظلما أو اضطهادا أو استغلالا يتحول هذا الأمر عنده إلى حالة دائمة مع شعور دائم بالتآمر عليه، وقد كانت التّجارب المُرَّة التي مرت بها الأمة في العقود الأخيرة مدعاة لإساءة الظّن في كثير من الأفكار والمناهج عبر التّعميم...

السّبب الرّابع: الخوف من الآخر والشّعور بالضّعف، فالإنسان بطبيعته كائن ينتابه الضّعف عندما لا يقدر على تجاوز المحن والصّعاب، وشعوره بالخوف هو الذي يحرك فيه كوامن الحذر والاحتياط، وقد يتحوّل هذا الأمر إلى حالة مرضيّة

عندما يفقد ثقته بنفسه ويتحوّل خوفه إلى شعور بالضعف الدائم والهزيمة من الآخر، لذلك يتراجع إلى داخله متحصنا بأسوار حديدية أمام هجوم الآخر كما يتوهّم، وحينئذ فهو ينكر كلّ شيء يرتبط بالآخر سواء كان صحيحا أو خاطئا محقاً كان أو باطلا مفيدا له أم غير مفيد، فيصبح عدوا دائما له ومحورا للشرّ، ويمكن رؤية هذا الأمر في الأمهات اللواتي يزرعن الخوف في أبنائهن من كلّ غريب وقريب.

السّبب الخامس: العزلة والانعزال، تشكّل العزلة عاملاً مهمًا، في فقدان القُدرة على التّواصل، وقد تكون أسباب العزلة نفسية أو ثقافية أو جغرافية أو اقتصادية، ولكن المنعزل ينأى بنفسه عن الآخرين مشكّلا لنفسه عالما خاصّا، فتنشأ الأُسر الصغيرة التي تكوّن لنفسها حياة خاصة بها كالأسر الاقتصادية الإقطاعية والتكُتلات العشائرية والأحزاب المُنغلقة والمجتمعات النائية في الجبال والجُزر والمناطق البعيدة حيث تشكّل لنفسها ثقافة خاصة وحياة منفصلة.

ويصعب على الانعزاليين التفاهم مع الآخرين لافتقادهم لغة الحوار والتّفاهم، ويمكن رؤية أغلب الشّعوب المتحضّرة من

خلال زاوية تواصلها مع العالم الخارجي، فالبلاد التي تطلّ على مناطق منفتحة على العالم الخارجي هي أكثر تحضّرا من المناطق البعيدة والنّائية كالمنعزلة في الجبال أو الجزر.[1]

إذًا كانت تلك هي الخمسة أسباب الأشهر، التي تدفع النّاس لكره بعضهم البعض، وصدِّقني لقد بحثت كثيرا في أسباب الكراهية وقد وجدت الكثير من الأسباب، وهي معروفة لدى العامّة، لكنّي لم أجد أكثر إقناعا من هاته التي ذُكرت في المقال، لكن هل هي أسباب حقيقية أم هي أسباب وهميّة، لنتعاون أنا وأنت على تفسيرها ولنتعاون أيضا على تجاوز التّعارض الذي بدا لك.

هل تقديرنا لذاتنا بشكل مبالغ فيه، والشّعور بالأنانية واستعلاء نفوسنا ورغبتنا في السّيطرة والاحتكار هي أسباب حقيقية لجعلنا نكره الآخرين، أليست هاته أسباب وهمية سيطرت علينا وعلى شعورنا فجعلت منا نصدق أنفسنا في أنّنا

[1] مجلة النبأ-العدد -47-ربيع الثاني 1421/تموز2000، تحت عنوان: التواصل مع الآخر لتأصيل منهجية التعايش

نملك المشروعية في كره الآخرين، وكأنّنا نمارس حقًا شرعيًا يُخولنا دون ندم ولا شعور بالذَّنب في تصدير شعور الكراهية لأناس قد لا تكون لنّا علاقة بهم أصلا، وحتى وإن كانت لنا علاقة بهم، هل نملك الحق في كرههم تحت تلك الأسباب الوهميّة التي أقنعتنا انفسنا بها بأننا على صواب وقدمتها لنا على أنها أسباب كافية لذلك، فوزعنا الكراهية على هذا وذلك؟ عذرا أخي، حتى وإن كان السبب النفسي سببًا مقنعًا في جانب من الجوانب إلاّ أنّه سبب وهميٌّ لا علاقة له أبدا بالأحقية للكره، فأنت عندما تكره أحدهم تحت أعذار وأسباب نفسية، فلتتأكد أنك داخل في صراع وهميّ، سيضيق عليك شيئا فشيئا حتى يُطبق عليك ويقضي عليك وحيدا منبوذا مفضوحا، وسيتحاشاك النّاس ولن يرغب أحد بالاقتراب منك، إنّك مريض فلتعالج نفسك، أو فلتستسلم لمصيرك، وأعدك ستكون نهايتك مثل (ارجع لقصّة أبي جهل).

ترى هل السّبب الثقافي أو خوفنا من الآخر أو شعورنا بالضعف أو عُزلتنا، أسباب حقيقية لنزوع الكراهية؟

أليست هاته كلها أسباب وهمية أقنعنا أنفسنا بها أيضا؟.. من خلال التِّكرار المستمر لها، على أنها حقيقيّة، نرى أنفسنا نملك الشّرعيّة في الكره فأصبحنا نرى الذي كرهناه استحق الكره وما يترتب عليه من أفعال بعدها، أغلبها ستكُون التفكير في الإيذاء.

نعم إنّ ما نكتسبه من المجتمع من ثقافة وسلوكيات طيلة السنوات التي نعيشها فيها، ستنعكس علينا وعلى تصرّفاتنا مع النّاس، وعلى نوعية أفعالنا معهم، لكن هل كل ما نكتسبه من المجتمع الذي نعيش فيه يصلح لأن نتخذه ثقافة وسلوك نتعامل بهما مع الناس، أليس في المجتمع تصرفات يجب نبذها ورفضها كي لا نتأثّر بها، إنّ المجتمع مهما كان متقدما ومهما كان صالحا فإنّه لا بُدَّ فيه عجز في الصّلاح، لذا يجب أن نأخذ منه ما ينفع دون سواه، الرسول محمد صلى الله عليه وسلم أقر الكثير من التّصرفات الحميدة التي كان عليها قومه، مثل نصرة المظلوم في حلف الفضول، فقال: **لقد دعيت في الجاهلية في حلف، لو دعيت إليه في الإسلام لأجبت، وكان يقصد حلف**

الفضول، وفي الوقت ذاته أنكر الكثير من التّصرفات الأخرى، وهذا ما يتطابق مع قوله: **ما جئت إلاَّ لأتمّم مكارم الأخلاق**..

الشّيء الذي أريد أن أقوله في هذا، أنّ ثقافة المجتمع تنعكس حتما على الأفراد، سواء كانت سلوكات حميدة أو غير ذلك، لذا وجب تمحيص الخبيث من الطيَّب، وتوزيع الكره هو أحد الخبائث التي لا نهاية سارة لها في الدنيا أو في الآخرة، وهي قاضية لا محالة على الكاره قبل المكروه، لأنّ الصّراع الوهميّ مرض سينهيك، إنّه يضعك على ميزان الحظّ، لكن تذكّر أنت دائما في غنى عن ذلك.

سبب آخر يدفع النّاس لكره بعضها البعض وهو الخوف من الآخر والشّعور بالضّعف ممّا قد يؤدي بالانعزال، ترى هل خوفنا من الآخر وشعورنا بالضّعف، هما سببان حقيقيان يعطينا الحق في كرهِ النّاس، ألسنا نكون حمقى بل أكثر من ذلك حينما نكره أحدًا أقوى منا، أو أعلم منّا، أو أذكى منّا، أو أجمل منا؟ وكأنّنا نضع أنفسنا في منافسة معه، لنشعر بذلك الضعف منه، في أنه سيتفوق علينا، لذا نبادر بكرهه، تأكد حينما بادرت

بكرهه، فذلك فقط لأنّك وجدتها الطّريقة السهلة غير المكلفة، فبادرت بكرهه باتّخاذك تلك الأسباب، لكن هي وهميّة نعم هي مجرد أسباب وهميّة لا أساس لها، هو أفضل منك أو أعلم منك أو أذكى أو أيّ صفة أخرى.. هذا راجع لاجتهاده فيما تفوّق عليك أو لموهبته، أنت لم تكلّف نفسك السّعي للّحاق به أو لتجاوزه، لكّنك اتكأت على تلك الأسباب الواهية الوهميّة، لتصدر كُرهك لك، وتغلفه بتلك الأسباب، التي هي وهميّة، قد يؤدي كلُّ هذا لانعزالك، بل ستجد نفسك في كل طريق تدخله وحدك، تتعارك مع نفسك المريضة التي تعيش أوهامًا تحاول إثباتها..

كلها أسباب وهميّة لا أساس لها، فلا تحاول إقناع نفسك بها، تجاوز الكل، ودعك من البحث على حجج لتبرير مرضك، أن تكره دون سبب فأنت داخل دوّامة صراع وهميّ، هو قاضٍ عليك لا حالة وإن طال الزّمن، وستنتهي إلى عزلة وحدك، ستُفضح ولن يأتمنك أحد على شيء، ولا تنسَ أن إبليس أُنزل وُطُرِدَ من السّماء لصراع وهمي أسلم نفسه إليه، وكذلك أبو الحكم، لأنه أيضا أسلم لصراع وهميّ، فأصبح أبو جهل..

أنت أفضل من أن تَكرَهَ أحدًا لتفوّقه أو تميزه، أنت تستطيع أن تكون أفضل منه في جانب آخر من جوانب الحياة، فلمَ تُضيّع الوقت بالكره ونقل الكراهية والتّركيز عليها، أنت أفضل، لكن عليك أنت أن تؤمن بذلك وتعمل عليه، فالكلّ ميسر لما خلق له، كما قال النّبي محمد صلى الله عليه وسلم.

5- إنّه يكذب باستمرار..

نعم إنّه يكذب بشكل مستمر، إنّه يرى نفسه أقلّ شأنا من مستمعيه، إنّه يراهم أكثر وعيا، وأكثر جمالا، وأكثر قبولا، وأكثر حظًا، إنه يحاول بكل الطُّرق لأن يضاهيهم في ما هم عليه، إنّه يختلق القصص يؤلّف بعض الحكايات البطولية وينصِّب نفسه بطلا عليها، في كلّ مرة يحاول أن يكون حاضرا بقصّة ما، ببطولة ما، بشيء فعله يستحق الإعجاب، أو فعلَهُ غيره فينسبه إليه في سبيل أن يبهرهم وينال إعجابهم، لم يعد يهمّه عدد الكذبات التي يكذبها في اليوم، هي خمس أو رُبّما خمسين أو قُل هي أكثر، هي بعدد كلماته معهم..

انتظر معي قارئي الكريم، لا تحاول تفسير ما قرأت، فقط جرِّب أن تكمل القراءة، أعدك أنّك ستفهم أكثر من أن تتجه إلى التّفسير.. دعنا في البداية نبتعد عن ذلك التّعريف الجّامد للكذب، الذي نجده في الكتب، وأيضا لنبتعد عن كل طرح حاول معالجة الكذب حاول التّحذير منه، والتّذكير بعواقبه، وما قد يفرزه من آفات تدمَّر المجتمع، لنَتَّفِقْ أنهم على حق، دون أن

نعرّج على ما قالوا، ولنتجاوز ذلك إلى الحديث على صاحبنا، صاحب الصِّراعات الوهمية، وما علاقته بالكذب، وكيف دفعته دوامة الصِّراع الوهمّي التي دخلها وسيطرت عليه إلى الكذب بشكل مستمر.

إنّ ذلك الذي تحدّثنا عليه في بداية الكلام على أنّه يكذب بشكل مستمر، والذي يرى نفسه الأقل شأنا من مستمعيه، ويراهم أكثر وعيا، والأكثر جمالا، والأكثر قبولا وحظا، ذلك الذي يحاول بكلّ الطّرق أن يضاهي محدثيه، إنه ما هو إلاّ صاحب صراعات وهميّة، دخلها وسيطرت على تفكيره، إنّ كل حديثه كذب، لا تستغرب حينما أقول لك أنه يكذب بدون سبب، نعم هو يكذب بدون سبب، قد يكون هو الأكثر شأنا منهم، والأكثر مالا وشهرة وجاها وجمالا وحظًّا، قد يكون لديه ما ليس لدى مستمعيه لكنه مع ذلك يكذب بشكل مستمرٍ لأجل أن يكون حاضرا في كل أنواع القصص التي تُحكى..

إنّ دخوله دوامة الصّراع الوهمّي، فتح شهية الكذب لديه، بل أكثر، بل أعطى لنفسه الحقّ والمشروعيّة لأن يكذب، إنّه لا يسمح ولو على سبيل المجاملة أن تحكى حكاية ولا يكون لديه

مثلها، أو يحكى موقف ولا يكون عنده مثله أو أفضل، أو أن تقص بطولة ولا يكون قد مرّ ببطولة مثلها أو أقوى، بل وأكثر من ذلك فهو لا يسمح بأن يمر موقف عاديٌّ جِدًا إلاّ وكان لديه مثله أو قد مرّ به هو شخصيًّا، إنّ الصّراع الوهميّ الذي هو داخله قد سيطر على تفكيره، فهو لا يسمح لأن يكون الرقم اثنين أبدا، ولهذا فيجب أن يكذب ويكذب ويكذب.

إنّه لا يفكر أبدا في أنّ المستمعين قد سئموا من كذبه أم لا، هو لا يفكر أبدا في أنّه قد يكون كذبه مكشوفًا أم لا، هو لم يعد يفكِّر هكذا أبدا، لأنّه مع الزّمن أصبح لا يفرق بين الكذب والصّح، بين الحقيقة والخيال، بين ما يجب أن يقوله وبين ما يقوله حقًّا، هو لا يفرق بين ذلك، هو أسير الصّراع الوهميّ الذي دخله، وسيبقى يكذب حتى في التّوافه كأن يتفوق ولو على الصبيان، ولو على أمور لا تعنيه.

قد يحدث أحيانا وأن يشعر أنَّ كذبته مبالغٌ فيها، وقد كُشفت من طرف مستمعيه، لكن ومع ذلك فهو لن يتراجع أبدا ولن يعتذر، بل سوف يختلق كذبة أخرى لأن يدعم بها كذبته الأولى، وسوف يلجأ إلى كل الحيل لأن يبرهنها لهم ويقنعهم بها،

إنه يعتقد كل الاعتقاد أنّ التّراجع عن كلامه والاعتذار عن كذبته لا يليق بمقامه، وأن هذا يصغر من شأنه، ويجعله يفتضح، فالصّراع الوهمّي الذي يعيشه أصبح يعميه على كل حقيقة فهو يعيش في حياة كلّها وهم، مليئة بالأكاذيب والقصص الخيالية التي نصّب نفسه قائدها دائما.

الشّيء الأكثر غرابة في هذا النّوع من النّاس، الذي يعيش صراعات وهمية بناءً على الكذب المستمّر، أنّه يكذب حتّى دون أيّ فائدة بل في كثير من الأحيان هو يكذب دون سبب، ويكذب أيضا حتّى في أمور صغيرة قد تكون تافهة، ومع ذلك ولأنّه ألف الكذب وأدخل نفسه في دوّامة الصّراع الوهمّي فهو لا يرضى بأن يكون أمره عاديًّا، بل يجب أن يضيف عليه بعض اللّمسات الكاذبة، لكي يظهر أكثر بطولية وأكثر كمالا.

قد يسأل الكثير من الناس عن الرابط بين الكذب باستمرار وعلاقته بالصّراع الوهمي، يقولون: ما دخل الصّراعات الوهمّية في شخص يكذب باستمرار، قد يقولون أيضا: أليس الكذب هو سلوك يكون في مجموعة من الأفراد في المجتمع، أو قد يكون في كلّ الناس في أحيان متفرقة، ألسنا كلّنا نكذب بما فيهم أنت،

في بعض الأحيان؟ ألا تأتينا لحظات ضعف نكذب فيها، سواء كان من باب الفخر، أو من باب التّغطية على أمر ما، أو من باب كسب بعض المصالح أو التملّق، أو حتى لكسب بعض الودّ، وفي مرات كثيرة نكذب لأجل الإصلاح بين المتخاصمين..

قد يقولون ـ وقد تكون أنت واحد منهم سيدي القارئ ـ لماذا تربط الكذب بالصّراعات الوهميّة؟ أي أننا لو سلّمنا بأنّ كل من يكذب هو من يعيش صراعات وهمية وكأننا نسلم بأنّنا كلنا نعيش صراعات وهميّة بما فيهم أنت يا صاحب الكتاب، وهذا لا يستقيم أبدا، لا يستقيم أن نكون كلنا أصحاب صراعات وهمية لأننا نكذب وندافع عن كذبتنا في أحيان متفرقة..

صدِّقني إنّه لا شيء يعجبني أكثر من هاته الأسئلة، إنّها تجعل المسؤولية كبيرة لدي، بل هي تفرحني كثيرا لأنّك إذا وصلت وطرحت هذا النّوع من الأسئلة فيعني أنّني أتعامل مع شخص ذكيّ، هو أبعد عن الصراعات الوهمية، وسيفهم مقصودي بكل سلاسة وسهولة، اسمح لي أن أحيّيك قارئي الكريم، كل تحياتي..

أنا لم أقل أنّ كلّ من يكذب هو يعيش في صراع وهمي، فأنا من المؤمنين كلّ الإيمان أنّنا كلّنا نكذب في فترات متفاوتة من الزّمن، وذلك حسب الحاجة، كلنا لنا لحظات ضعف تغلبنا كأن نبرهن عن شيء ما بكذبة ما، أو أن نفتخر فنلجأ للكذب، أو قد نلجأ للكذب لأجل تغطية أمر ما أو فعل ما، أو حتّى للإصلاح بين ذات البين، لنكن صرحاء مع بعض، إنّنا كلنا في أمسِّ الحاجة لبعض الكذب أحيانا بغض النّظر عن السّبب، وهذا لا يسلم منه أحد، بل هو سلوك طبيعيّ في البشر، وأنا لم أقصد هذا كله، أنا لم أقصد هذا النوع من الكذب أبدا.. والذي فيه هذا النّوع من الكذب فهو لا يعيش صراعا وهميا بل هو يمارس حياته الطّبيعية كبشر خطاء..

إن نوع الكذب الذي قصدته، وربطته مع الصّراع الوهميّ، هو ذلك الكذب الذي يكون باستمرار ودون فائدة في كثير من الأحيان، إنّ الذي يعيش صراعا وهميا بناء على الكذب المستمر، هو من يتخذ الكذب منهج حياة، من يكذب دائما وفي كل حين ومع الكل دون تمييز، الذي يغطي على فشله بالكذب، والذي يقص مواقفه بالكذب، والذي يؤلف حكايات البطولات

وينصِّب نفسه عليها بالكذب، الذي يملك قصة على كل حادثة، وله موقف في كل رواية، والذي لا يعرف الاعتذار عن كذبة كشفت، بل يسعى بكل جدِّية لأن يغطيها بكذبة أخرى، ذلك الذي أشياؤه كلها مثالية وحكياه خيالية، ذلك الذي لا يرضى بأن يكون أحدا أفضل منه، ذلك الذي إذا حكى أحدهم شيء أُعجب به المستمعون، يلجأ بكل سرعة إلى تأليف شيء يضاهي بل يكون أفضل مما حكاه، يطرحه لكي يبهر به المستمعين، هو يريد أن يكون الأعرف والأفضل بين الكلّ ولو كان بالكذب عبر التأليف والخيال.. هذا هو الكذب الذي أقصده والذي إذا اتّصف به شخص ما، فإنه حتما يعيش في دوامة الصراع الوهمي، والتي ستفقده كل ما تبقى من احترام كان يكنه له البعض، لأنه سيكشف لا محالة وإن طال الزّمن.

فالصّراع الوهميّ هنا، هو تصارعه مع نفسه التي يعتقد أنّه لا يجب أن يرى أحدا يتقدّم عليها ولو بخطوة وفي كل مجال، فهو في جدال دائم مع نفسه للبحث دائما على قصّة أو موقف أو أي شيء عبر الكذب ليغطي عجزه الحقيقي على أن يكون

الأفضل، وقد ألف ذلك وهو أسير لأوهام لا أساس لها، وأعيد سيكشف لا محالة وإن طال الزمن..

لا تكن كصاحب الخنفشار..

جاء في القصص **عند بكر أبو زيد في** كتابه **التعالم والفكر الصفحة** 13، أن رجلاً كان يفتي كل سائل دون توقّف، كان يجيب على أي مسألة مهما كانت، كانت لديه إجابات متنوعة، وقصص وأمثال عليها، وقد ذاع صيته وأصبحت شهرته كبيرة، فلاحظ أقرانه ذلك منه، فأجمعوا أمرهم لامتحانه، بنحت كلمة ليس لها أصل، ولا أساس لها وهي كلمة الخنفشار، فسألوه عنها، فأجاب على البديهة وبكل ثقة: بأنه نبات طيب الرائحة ينبت بأطراف اليمن إذا أكلته الإبل عقد لبنها.

وقد قال شاعرهم اليماني على هذا النبات:

لقد عَقَدَت محبتُكم فؤادي .... كما عقد الحليبَ الخنفشار

وقد قال أيضا داود الأنطاكي في (تذكرته) كذا وكذا، وقال فلان وفلان..

حتّى وصل إلى أن قال أن النبي صلى الله عليه وسلم قد قال فيه، هنا قاموا إليه فاستوقفوه ، وقالوا : كذبت على هؤلاء، فلا تكذب على النبي صلى الله عليه وسلم، وتحقق لديهم أن ذلك المسكينَ: انّه كذاب، ويتخذ من الكذب والتأليف طريقا للإجابة على كل سؤال[1].

صحيح قد كان صاحب الخنفشار بكذبه قبل أن يكشف، من أكثر الناس معرفة بينهم، حتى أصبح يشار إليه بالبنان، أظنه قد وصل إلى مرتبة العالم الجليل والفقيه العظيم، لكن مع أول اختبار حقيقي حتى ضربت أوهامه على حائط الحقيقة لتتفتت أحلامه وخيالاته التي بناها بالكذب وينتهي كل شيء، انظر نهايته، نهاية مذلة، قل لي من سيثق بكلامه بعد الآن، الأكيد إن كُنّا عقلاء، سنجيب ولا أحد، فوقوعه من المكان العالي الذي صعد إليه بكذبه كان كفيلا بالقضاء عليه نهائيا، وللأسف ستكون نهايتك مثله، يامن تتخذ الكذب والتّأليف طريقا لك استجابة ومسايرة للصّراعات الوهميّة التي أدخلت نفسك فيها بحثا على التّميز الخادع، سوف ترفعك أكاذيبك

[1] بكر أبو زيد كتاب التعالم والفكر صفحة 13 .

عاليا وعاليا جدًا، لكن لتتأكد أن علوك سيكون بشكل مؤقت فقط، لتتفاجأ بسقوطك بشكل أقوى وأسرع، ستقضي على سمعتك بشكل قد يكون نهائيا، فلا تغامر بأن تكون كصاحب الخفنشار..

ليس من العيب في شيء أن تكون لا تعلم بعض الأمور أو ألّا تعلم الكثير من الأمور، فهذا هو الطبيعي في الإنسان، أن يعلم شيء ولا يعلم أشياء كثيرة، إنّها ليست مَنْقَصَةٌ، إنّ المنقصة الحقيقيّة في أن تستجيب لنفسك في أن تتدَّعي المعرفة، أو أن تدعي أي شيء عبر الكذب وتنسبه إليك، هنا فقط أنت تستدرج للنّهاية التي كانت لصاحب الخنفشار..

لماذا يكذب بشكل مستمر؟

لماذا يَكْذِبْ بشكل مستمر، لماذا هذا الصّراع الوهميّ نتيجة كذبه المتسمر، إنهما سؤالين مهمين جدًا، اسمح لي قارئي الكريم أن أجيبك عن سبب كذب الناس بشكل عام، بصفة عامة هناك الكثير من الأسباب التي تدفع الناس للكذب، قد تكون

هناك أسبابا في ظاهرها تبدو قوية تدفع للكذب، مثل: الخوف من النتائج والعواقب خاصّةً إذا كان الموضوع سلبيّاً، كسب منافع وفوائد من الأطراف الأخرى المقابلة، أو تجنب الذِّكريات والأمور السّلبية والمؤلمة، أو امتلاك خيال واسع، أو إنقاذ النّفس من مواقفَ محرجةٍ وتجنيبها أمورًا غير مستحبّة، أيضا من بين الأسباب التي تدفع إلى الكذب هو الحفاظ على مكانةٍ اجتماعيةٍ معيّنةٍ وحبّ الأضواء والشّهرة والظّهور، العداء أيضا والكراهية والبُغض والمشاعر السّيئة السّلبية تجاه الآخرين قد تدفع للكذب، فيلجأ الكاذب إلى تلفيق ما لا يليق وما هو غير صحيحٍ بحق الآخر، أو من باب كسب شفقة وعطف الآخرين، أو امتلاك عقدة النّقص والرغبة في امتلاك أو تحقيق ما يكذب بشأنه..

قد كانت تلك هي أغلب الأسباب التي تدفع الناس للكذب، قد لا يكون الناس الذين يكذبون تحت تلك الأسباب من أصحاب الصراعات الوهمية، فقد تبدو لديهم أسباب قوية نوعا ما، للتخلّص من حالة ما، لم يقدروا على مواجهتها أو التكيّف معها، فيلجؤون إلى الكذب أحيانا فقط وليس بشكل مستمر، لكن إن لم يكونوا أصحاب صراعات وهمية فهم في الحقيقة

معرضون دائما لدخولها، إذ أنّهم قد أقنعوا أنفسهم بأنّ الكذب أسهل الطّرق وأسرعها، وسيألَفُونه بشكل سريع حتى يعتقدوه، تمهيدا لدخولهم للصراع الوهمي، ليكذبوا باستمرار وبدون سبب..

لتصارح نفسك قبل أن تصارحني هل هي أسباب قويّة حقًّا، لتجعلك تكذب؟ هل أنت ضعيف لهذه الدّرجة حتى تكون كلُ تلك الأسباب أقوى منك في أن تكذب لأجلها... صدِّقني لن أجيب مكانك فأنت أعلم بحالك منِّي، إن كانت تلك أسباب مقنعة بالنسبة لك في أنّها كافية لتجعلك تكذب بشكل مستمر، فلتسامحني إذا..

أنا أترك الحديث عن هذا، وأنا أنسحب لأتركك مع ضعفك فأنت أقل من أن تواجه، أنت تراوغ دائما في أن تكذب لكي تهرب..

بعد أن عرفنا لماذا يكذب الناس بشكل عام، لنبحث عن الحلّ للخروج من دوّامة الصّراع الوهميّ، إنّ للخروج من الصراع الوهمي نتيجة الكذب، طريق واحد وهو مصارحة النّفس بأنّها ليست كاملة، يجب صدم النفس في كلّ مرة بأنها

ليست الأفضل في كل شيء ولا ينبغي لها أن تكون، يجب وضعها في موضعها الحقيقيّ بأنها قد تكون متميزة في أمور ولا تستطيع لسبب أو لآخر التميز في أمور أخرى، يجب الاعتقاد كل الاعتقاد والتسليم كل التسليم، بأننا قادرين على فعل أشياء وفي الوقت ذاته غير قادرين على فعل أشياء أخرى، وأنّ الأمور التي لا نقدر على فعلها لا يجب أن نلجأ للكذب عبر التأليف لننصب أنفسنا عليها كأننا قادرين على فعلها أو قد قمنا بها فعلا، في أن نكذب باستمرار ونغطي على كذبة بأختها، يجب أن نقتنع أنّ كل كذبة لتقويّة موقف ما أو حكاية ما، ما هي في الحقيقة إلّا فخ سيعجل من دخولنا للصراع الوهمي لنفضح بعدها ونكشف، حبل الكذب بصفة عامّةٍ قصير، وهو أقصر بكثير إذا كانت تسيطر عليك الصّراعات الوهمية.

إذا قصّ أحدهم قصّة وكان بطلها، فهذا لا يعني أنّه أفضل منك، أو أكثر بطولة إذا لم تكن أنت لديك قصّة مشابهة، دعه يروي قصته، اتركه يحكي موقفه، لماذا تضع نفسك موضع المقارنة معه ومع قصّته وموقفه، لماذا تستدرج نفسك في أن تدخلها صراعا وهميا، ثم ليزين لك الكذب لكي تختلق أفكارا عبر

خيالك وقصص لا وجود لها أنت بطلها، صدقني مع الزمن ستكشف، وسيكون الذي انبهر بك البارحة أشدّ الكارهين المستحقرين لك، لأنّك في نظرهم تكذب باستمرار كي تظهر بطلا في الواقع، وأنت عندهم وعند نفسك مجرد بطل خيال وكذب، يقول **نتشه**: لست منزعجًا لأنّك كذبت عليّ، لكنّني منزعج لأنني لن أصدقك بعد هذه المرة..

لذا لا تغامر بسمعتك وتضعها في الميزان، في أن تلجأ للكذب لأجل أن تظهر ذلك الشّخص الكامل بين الكلّ والذي يجب أن يملك عن كل شيء قصّة أو موقفا أو بطولةً، صدِقّني إنّك تُدَمِّر سمعتك بكلّ غباء، يقول **بالتسار غارسيان**: كذبة واحدة تُدمِّر سمعة شخص بالكامل..

6- يلعب دور الضحية دائما..

كان يشفق أيما إشفاق على زميله في العمل، الذي كان يشكو له كثيرا وبشكل مستمر ظلم باقي زملائه له والتعسف الذي كان يلقاه من مسؤوليه في العمل، وأنهم جميعا لا يرون غيره وغير أخطائه ويقفون على أي هفوة تصدر منه ويتربصون به الدوائر لكي يحملوه مسؤولية كل الأخطاء دون زملائه الآخرين، الشيء الذي جعل من درويش خصوصا في أيامه الأولى للعمل، يقترب من هذا الشخص ويقف إلى جانبه دائما ليسانده، ويعطف عليه ويحاول دائما أن يحمل عنه بعض الأعمال شفقةً به، لكن ومع مرور الأيام ليكتشف درويش أن كلام ذلك الشخص لم يكن حقيقيا أبدا، وأنه كان بارعا في التمثيل، تمثيل دور الضحية، وأنه لم يكن في الحقيقة يعاني من أي مضايقات ولا أي اضطهاد، بل كان مثله مثل كل الموظفين، لم يفهم في البداية درويش، لماذا قام ذلك الشخص بالتصرف بتلك الطريقة، لكنه لاحظ، أن زميله وكأنه يستمتع كل الاستمتاع في لعب دور الضحية لكسب التأييد عبر العطف والشفقة، لينقلب عطف

درويش وشفقته إلى بغض واحتقار لزميله، وأصبح يتحاشاه دائما..

قد تكون هذه القصة مكررة جدا عبر التاريخ، وقد نكون كلنا لدينا قصة مشابهة لها، قد يكون لدينا ذلك الصديق الذي دائما يلجأ إلى تمثيل دور الضحية لأجل تغطية عيب ما، أو تبرير شيء ما، أو لأجل الظهور بشكل ما لأجل كسب الآخرين.. لكن هل فكر أحدنا في لماذا يتصرف أولئك بتلك الطريقة، لماذا تصرف زميل درويش بتلك الطريقة وكأنه يستدعي العطف والشفقة، لماذا يتقمص أولئك دور الضحية دائما لأجل كسب تأييد الناس، لماذا يستسلم أولئك لإحساس العجز الدائم والمظلومية من تحديات الحياة؟ لماذا لا يحاولون بكل مسؤولية مواجهة تحديات الحياة بكل جرأة ..

أليس غريبا أن يبحث أولئك عن التأييد والمساعدة ويطلبانها عبر تقمص دور الضحية دور ذلك المسكين الذي أحاط به من كل جانب، ذاك الذي هو غيرُ قادرٍ وحده على مجابهة خبث الناس، ذلك الذي يقابله الناس دائما بالرفض الدائم وبالإقصاء، ويعاملونه بكل أنانية مع أنه يفكر دائما في الصالح

العام، يطرح نفسه على أنه محب للكل، لكن حبه يقابل بالكره، وأنه دائما يسعي للخير لكن أعماله لا تفهم فتقابل بالشر والمعاملة السيئة.

أليس غريبا أن يصدق نفسه دائما ويكرر دور الضحية في كل مناسبة، سواء كان في جمع من الناس أو مع فرد واحد، ألا يدفعنا ذلك للبحث عن سبب لعبه دور الضحية وتلك الانبطاحية الدائمة لأجل كسب العطف والشفقة..

إن هذا النوع من الناس والذي هو دائم التقمص لدور الضحية ما هو إلاّ نتاج لصراع وهمي دخله عبر الاستسلام لضعفه وإحساسه بالعجز الدائم لمواجهة تحديات الحياة، وعدم قدرته حتى في التفكير لأخذ المسؤولية بكل جرأة وتحمل التبعات، إنه قد أقنع نفسه بخوفه وضعفه واستسلم لهما، فدخل دوامة الصراع الوهمي، فأصبح دائما يلجأ لتقمص دور الضحية لتجاوز أي عقبة أو أي مشكلة ولو كانت بسيطة، قد ألف شيئا فشيئا دور الضحية، فهو لم يعد يستطيع أخذ المسؤولية ولا تدبر الأمور بكل جرأة، لأنه ما إن دخل ذلك الصراع الوهمي حتى خيل له بأن لعب دور الضحية هو الحل

الأنسب لكسب التأييد وتلقي المساعدة، عبر استعطاف الناس واللعب على وتر العاطفة الحساس، ونيل شفقتهم، هو لا يرى نفسه أبدا ذليلا بل بالعكس فالصراع الوهمي يصور له أن غير هاته الطريقة يمكن أن يفضح عجزه وجهله وقلة حيلته، لقد أحاط نفسه بجبال من الأوهام وقيد تفكيره بسلاسل كثيرة من الأفكار الوهمية التي أصبح أسيرها، ليرى الحل دائما في لعب دور الضحية..

هو يرى بأن لعب دور الضحية هو الطريق الأقصر لكسب تأييد الناس عبر مخاطبة الجانب العاطفي فيهم، هو يراهن على أنّ استغلال الجانب العاطفي لدى الناس عبر تمثيل دور الضحية سيجعل الناس تقدم له المساعدة والدعم دائما، وتكون بجانبه دوما، هو لا يفكر أن الناس قد تمل شكواه الدائمة، هو يدور في حلقة مغلقة لدوامة الصراع الوهمي ولا يرى أي منفذ آخر لا يرى أي حل آخر، قد ألف دور الضحية وقد استسهله وهو يرى نتائجه بسرعة دون تكلف، إن الناس تساعده حقا، فيتعاطفون معه، هم يشفقون عليه، بل في كثير من الأحيان هناك من ينوب عليه في أعماله وهناك من يسارع في

تقديم أنواع المساعدة له، هو يرى أنه طالما أن الناس تصدق تمثيله وتتعاطف معه وتقف بجانبه دائما، وهم يقومون بتقديم المساعدة بناء على تحريك العاطفة لديهم، فلِمَ المغامرة بالتحدي والعمل وأخذ المسؤولية، إن الصراع الوهمي الذي أصبح يعيشه جعله يفكر بالاستمرار بتمثيل دور الضحية دائما ومع الكل، قد أصبح ذلك جزءًا من معاملاته اليومية ولا يمكن تغيير طريقة تفكيره لأنها الأسهل ولأنها الأكثر فائدة بالنسبة له من أن يقامر بالتحدي وأخذ المسؤولية.. لكن هل هذا صحيح حقا؟ هل لعب دور الضحية يعود عليه بكل تلك الفوائد؟ هل الناس حقا تساعده دائما؟ هل ينجح دائما..؟؟ هل أنت من الذين يلجؤون إلى تمثيل دور الضحية لأجل كسب تأييد الناس ومساعدتهم..؟

دعنا نتفق كما كنا نتفق دائما في بداية هذا الكتاب، ولتصبر معي مرة أخرى قارئي الكريم، ثم لتسمح لي مرة أخرى أيضا، أن نلقي نظرة على ما يقول أصحاب علم النفس في هذا الشأن..

ثم بعدها نرجع للإجابة على الأسئلة.. اسمح لي أن أقدم شكري لك مرة أخرى..

يقول الأخصائي النفسي التربوي **دكتور موسى مطرانة**، أن مثل تلك الشخصيات التي تتقن دور الضحية هي شخصيات مريضة وبحاجة إلى علاج وأنهم شخصيات متعبة جدا لمن حولهم وليس لديهم أي نوع من أنواع الرضا ومهما قدم الآخرون لهم سيظلون يعيشون على أنهم ضحايا، لأنهم شخصيات جاحدة ولا تعترف ولا تشكر على الإطلاق.. ويضيف الدكتور موسى على أن هاته الشخصيات قد يكونوا أفضل من غيرهم وأحسن بكثير، لكنهم عاشوا وألفوا الجحود والحقد والإسقاطات النفسية على الآخرين..

إنهم قد ألفوا تلك الصفات النفسية وتشبعوا بها، لتصبح سلوكا لا يمكن أن يستغنوا عنه بسهولة، قد يصلوا إلى أن يكونوا مرضى ويتوجب علاجهم، فالأمر إذا تكرر تقرر، والذي يألف لعب دور الضحية لن يستطيع التصرف خارج ذلك الدور، إنه أسير لأوهام ستؤدي به إلى أن يصاب بعقدة النقص التي سيفصح بها أمام الناس ولو بعد حين.. يضيف الدكتور **موسى مطرانة** فيقول: إن هؤلاء الأشخاص يعانون من عقدة النقص والحاجة إلى جذب الانتباه، فضلا على أنهم دائما ما

تجدهم ينظرون لما يمتلك الآخرون حتى وإن كانوا يتمتعون بمكاسب وحقوق أفضل من غيرهم[1]..

نعم سيصابون بعقدة النقص التي ستفضحهم دائما وأبدا، إذا وضعوا في اختبار حقيقي وموقف حقيقي، سيظهر تمثيلهم وسيبدون ممثلين حقيرين، نعم سيحتقرهم الناس، لأنهم كانوا الأكثر خداعا ومكرا، وأن الناس قد وثقوا فيهم وتكلفوا مساعدتهم، يا له من موقف !! سيكونون أصغر بكثير ممّا بدوا عليه، سيراهم الناس أقل شأنا حقا من أن توضع الثقة فيهم، وسيعتزلونهم بل أكثر من ذلك، سينصحون الناس منهم، سيصبحون وحيدين وكل النظرات إليهم هي نظرات اشمئزاز واستحقار..

مهما كان السبب الذي جعلهم يمثلون دور الضحية، فإنه سبب وهمي، أنتجه دخولهم في دوامة الصراع الوهمي الذي زين

[1] محمد جابر: أشخاص يجيدون لعب دور الضحية، مجلة الغد، 2014/07/27، https://alghad.com/%D8%A3%D8%B4%D8%AE%D8%A7%D8%B5-%D9%8A%D8%AC%D9%8A%D8%AF%D9%88%D9%86-%D9%84%D8%B9%D8%A8-%D8%AF%D9%88%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D8%B6%D8%AD%D9%8A%D8%A9/

لهم تأليف الحيل والمكر لأجل نيل التأييد وكسب العطف، وقضاء الحوائج، لكن كل تلك الأوهام ستتبدد وسيفضحون، ليتحول عطف الناس وشفقتهم إلى كره وبغض واستحقار، لأنهم خدعوا من مأمن وكانوا عرضة للاستغلال العاطفي..

هل أنت من الذين يمثلون دور الضحية..

دعك من أن تخدع نفسك، لا أحد يرانا إن إجابتك ستكون بيني وبينك فقط، لن يعلم بها أحد غيرنا، هل أنت حقا من الذين يلعبون دون الضحية لأجل تحقيق مصالحه، أياً كانت تلك المصالح مادية أو معنوية.. هل أنت منهم حقا..؟

قبل أن تجيب ما رأيك أن نحاول أن نضع ماهي الأسباب التي تدفع الناس لتقمص دور الضحية، ولنبتعد عن كونها صراعات وهمية فقط، لنرى هل هي أسباب مقنعة أم لا.. هل هي أسباب كافية لأن تجعلهم يلجؤون إلى تمثيل دور الضحية أم لا..؟

هناك الكثير من الأسباب التي يقولون أنها هي السبب الرئيسي التي ساهمت في اكتساب تلك السلوكيات التي دفعت أولئك إلى تقمص دور الضحية، من بينها العزلة التي جعلت منهم يفقدون مهارات التواصل الاجتماعي، مما يفقدهم الثقة في المواجهة وأخذ المسؤولية، لذا تراهم يلجؤون إلى دور الضحية لأجل التغطية عن عجزهم في التواصل والتعامل بالشّكل السّليم، أيضا يرجع البعض السبب إلى سوء التنشئة الاجتماعية داخل البيئة سواء كانت الأسرة أو المحيط الخارجي ونوعية الأصدقاء، الأمر الذي يساهم في اكتساب سلوكيات ممهدة للعب دور الضحية مثل الاتكال والعجز، يقول **حسين الخزاعي**: إن المجتمع ككل له دور كبير في كونه هو من يسمح لهم ويجاريهم، مما يعزز السلوك الخاطئ عندهم، في حين تتم الاستجابة لطلباتهم لمجرد أنهم ضعفاء[1]..

قد تكون كل تلك الأسباب، أسباب واقعية، وقد تكون لأبعد الحدود أسباب مقنعة في جانب من الجوانب، لكنها ليست مقنعة بشكل كامل، ولا هي أسباب حقيقية فعلا، حتى وإن كان

[1] المرجع سابق الذكر

للعزلة أثر كبير في أنها أفقدت الكثيرين مهارات التواصل الاجتماعي والثقة في المواجهة، لكن هذا لا يمكن أن نسلم به على أنه سبب حقيقي وحتمي، والواقع يثبت أن هناك الكثير من الانعزاليين عندما اندمجوا مع المجتمع تأقلموا بسرعة معه، واكتسبوا مهارات التعامل ولم يلجؤوا أبدا إلى لعب دور الضحية لأجل قضاء أمورهم، أيضا قد يكون لسوء التنشئة الاجتماعية دور كبير في التأثير على الأفراد، مما يدفعهم للعب دور الضحية تحت ضعف التكوين خاصة في الأسرة أو تأثرا بالمحيط الخارجي، لكن الواقع يثبت أن الكثير من الناس كانت تنشئتهم في بيئة قاسية فيها كل أنواع المشاكل والعشوائية، ومع ذلك تجاوزوا كل تلك العقبات ليصبحوا أشخاصا ذو قيمة ومكانة عالية في المجتمع..

دعنا نكن واقعيين إنها كلها أسباب وهمية فقط، إنها أسباب تتخذ كذرائع لتبرير الفشل، وعدم القدرة على المواجهة، ترى هل تتفق معي في ذلك.؟ أعتقد أنك لو صارحت نفسك بكل ثقة لقلت صحيح الأمر لا يعدو أن يكون مجرد ذرائع نهرب إليها لتبرير فشلنا وعدم قدرتنا للمواجهة، أو للتغطية عن ضعفنا الحقيقي

فنلجأ إلى تمثيل دور الضحية بوضع ظروف أكبر منا كي يبدو لجوؤنا لتمثيل دور الضحية وكأنه حقيقة وليس تمثيل، إن دوامة الصراع الوهمي التي دخلتها زينت لك الأمر، وجعلته يبدو سهلا وأكثر فائدة، إنك لا ترى غير سبيل تمثيل دور الضحية لأجل قضاء أمورك، والأمر سيزداد ويتطور شيئا فشيئا حتى لا تستطيع التخلص منه، لا تظن أن الأمر سيقتصر على مكان عملك فقط، لأن هناك منافسين لك وأنت تريد كسب وتأييد الكل عبر دور الضحية، لا أبدا، إن هذا الأمر سيشمل كل تعاملاتك سواء كنت في مكتبك أو في غيره، سيشمل طريقة التعامل مع أصدقائك مع أهلك مع الكل دون تحديد، لن تستطيع التخلص من تمثيل دور الضحية حتى ولو كنت في أحسن أحوالك، حتى ولو كان الأمر بسيطا لا يتطلب منك ذلك، إن الصراع الوهمي قد سيطر عليك، وأغلق كل المنافذ عليك، إنك حبيس أوهام لا أساس لها، ودعني أخبرك أنك بذلك قد وضعت سمعتك على الميزان.. أنت تحاول أن تقول لي شيئا، تريد أن تقاطعني لتخبرني شيئا ما، لكن من باب الاحترام لم تستطع مقاطعتي، دعني أستغل أدبك واسمح لي أن أنهي كلامي ثم قل

ما تريد، لكن قبل ذلك جرب أن تقرأ العنصر التالي: **لا تغامر بوضع سمعتك على الميزان** ..

لا تقامر بوضع سمعتك على الميزان..

حينما رضخت واستسلمت لتلك الأوهام التي أدخلتك فيها دوامة الصراع الوهمي، والتي زينت لك لعب دور الضحية لأجل كسب تأييد الناس ومساعدتهم، تأكّد أنك قد وضعت سمعتك على الميزان وقد بُنيت عن نقطة ضعفك القاتلة، التي ستسمح للكل باحتقارك والنظر إليك على أنك لا ترقى لأن تكون كفؤا لهم ولا من مستواهم، أنت دائما ستكون أقل شأنا منهم أجمعين، تأكّد أنك ترى بأعينهم ذلك المسكين الذي يتوجب عليهم إظهار الشفقة والعطف، والمسارعة بتقديم المساعدة له، أنت تقامر بسمعتك حيث وضعتها على الميزان، بلعبك دور الضحية المسكين الذي يترجى المساعدة، عبر شكاويه الدائمة وتذمره الملفت للنظر، صدقني قد يبادرون كلهم بإبداء العطف عليك والشفقة، وسيكونون معك في البداية وسيساعدونك دون

خلفيات، يساعدونك لأن الناس في الغالب تقدم يد المساعدة عبر إثارة العاطفة لديهم، لكن هذا إن كنت تلجأ إلى طلب المساعدة وقت الحاجة فقط، لكن ولتصدقني بشكل أكبر، أنك حينما تكون أسيرا للصراع الوهمي، فإن لعب دور الضحية سيكون دورك دائما، لأنك ألفته، وستطلب المساعدة دائما، ودون حتى الحاجة وستسعى لإثارة شفقتهم وعاطفتهم حتى بلا سبب مقنع، ومنه سيسبونك في الخفاء، وستكون كل مساعداتهم لك. إن كانت من وراء قلوبهم، وليس برغباتهم، سيساعدونك لأجل أن ينتهوا من كلماتك ومن إلحاحك ومن شكواك..

أنت عندهم الأذل، والأقل قيمة، والأكثر سبا في الخفاء، صدقني إنهم يفرحون حينما لا تأتي، ويسعدون حينما يكون المجلس بدونك، الكل سئم تمثيلك، وطلباتك غير الحقيقية التي لا تنتهي، إن دور الضحية الذي ارتحت له في البداية أصبح أكبر عائق لك بينك وبين حب الناس، أنت مرفوض بعقولهم، ومنفرٌ بقلوبهم، ولن أبالغ إن قلت لك، إنهم ينصحون أصدقاءهم بعدم الاقتراب منك، ومن مخالطتك، إن سمعتك

أصبحت في الحضيض، لأنك أدخلتها مقامرة، بدت لك في البداية أنها رابحة، لكن ما إن دخلت عبر بوابة الصراع الوهمي، لتستسلم وترمي كل ثقتك فيها، ليصبح دور الضحية الجزء الأكبر في معاملاتك، حتى بدأت تُكشف، وبدأ الناس يملون منك لتخسر كل شيء، عبر خسرانك سمعتك.. للأسف إنك الأذل بينهم والأقل قيمة..

أراك ما زلت تحاول مقاطعتي، وهذه المرة بشكل أكبر، لم يبق إلاّ الكثير، سأدع لك فرصة لأن تتحدث، فقط دعني أكمل، ما رأيك أن نلقي نظرة على ماذا يقول **روبيرت غرين** في كتابه الرائع، كيف تمسك بزمام القوّة، على أهمية السمعة، التي قد فرطت فيها أنت بسهولة ووضعتها على ميزان المقامرة، تحاول مقاطعتي على الكلام، فأسرع أنا باستغلال الفرصة لأعتبرك أجبت بنعم.. أشكرك دائما على صبرك..

يقول **روبرت غيرن** في القانون رقم 5، (في كتابه كيف تمسك بزمام السلطة): يتوقف الكثير على سمعتك، فحافظ عليها بحياتك، إن السمعة هي حجر أساس السلطة، وعن طريق السمعة وحدها تستطيع أن ترهب وتفوز، غير أنك إذا انزلقت

فستصبح مكشوفا وعرضة للهجوم من كل جانب، فاجعل سمعتك منيعة تستعصي على الهجوم..[1]

نعم إن **روبرت غرين** محق جدا خاصة حين قال: يتوقف الكثير على سمعتك فحافظ عليها بحياتك، نعم إن سمعتك تساوي كل شيء، إن المحبة والقبول ودوام الصداقة وتلقي الدعم والمساعدة، والكثير من الأمور الأخرى متوقف على سمعتك الحسنة، والعكس صحيح ولو بدا لك غير ذلك، فهي أضغاث أحلام، وأوهام ستتبدد مع أول اختبار حقيقي، تفريطك بسمعتك ووضعها على ميزان المقامرة نتيجة لعب دور الضحية عبر دخولك دوامة الصراع الوهمي، سيقضي عليك، فلا تنسَ أنك تقدم نفسك على أنك الأذل والأقل قيمة من الجميع، يقول نتشه: إنّ تحمل ضمير فاسد أسهل من تحمل سمعة رديئة..

قاطعتني مسرعا لتنزع الكلام من لساني، وتجبرني على الإنصات لك باهتمام، من قال لك أني أمثل دور الضّحية، أنا أقوى من أن أكون أسفل الكل، لأجل كسب تأييد أو مساعدة عبر استعطاف الناس، وانتظار شفقتهم، أنا أقوى من ذلك،

[1] روبيرت غيرن: كيف تمسك بزمام السلطة، ترجمة د. محمد توفيق البجيرمي، العبيكان للتعليم، المملكة العربية السعودية، ط 7، 2006

لست أشعر بالعجز الدائم ولم أمثل أنني أشعر بالمظلومية من تحديات الحياة، أنا حقا أحاول بكل مسؤولية مواجهة كل من يتعرض لي بكل جرأة، كما أنني لا أبحث عن اهتمام أحد عبر التمثيل، أنا لا أختلق كل مرة سببا لأجل إثارة العواطف، لست ضحية ولم أمثل أن أكون ضحية قط، إن الصراع الوهمي الذي تتحدث عنه لا يعنيني ولم أدخل دوامة الصراع الوهمي أبدا ولن أدخلها، أنا أقوى من ذلك، راض بما أملك وبما أفعل وبما أتلقى من الناس، فكل شيء يرجع حسب نوعه.. اعذرني أخي لكنك ظلمتني جدا حين جعلتني الأقل شأنا والأذل بين الكل، صحيح قد لا أكون الأفضل لكني لست الأسوأ، أنا أقوم بما يقع علي دون تمثيل، تصرفاتي نابعة كلها من قناعات حقيقية ولست وهمية، راض كل الرضى عن حالي دون تكلف مزيف..

صدقني أنت هاته المرة، أنا لست أسير أوهام ولا خيالات، ولست ألجأ إلى تمثيل دور الضحية أبدا، اطمئن وصدقني مرة أخرى، أنا لا أعيش صراعا وهميا أبدا..

ساد صمت رهيب بيننا، لست أدري لماذا شعرت وكأنني أشعر بالفخر بعد كلامه لي، وغضبه الذي أبان فيه أنه لم يقبل أصلا

فكرة أنه يعيش صراعا وهميا، وأنه لم يهضم فكرة أنه من الذين يلجؤون لتمثيل دور الضحية، نعم إنه شعور بالفخر أن تسمع هذا، إن القاع قد ازدحم بأصحاب الصراعات الوهمية، إنهم في كل مكان وفي كل زمان، شيء يفرح حقا، أن أسمعه يقول غاضبا أنه ليس منهم، نعم هو ليس منهم وأنت لست منهم وأنا قد أكون لست منهم، نعم العالم لا يحتمل مزيدا من أصحاب الصراعات الوهمية، دعونا نعيش في ثقة ومحبة وتعاون، لا بالتمثيل والصراعات والأوهام، يقول **ابن سينا**: الوهم نصف الداء..

علينا أن نبدد الوهم بالحقيقة، فنقضي على المرض قبل انتشاره.. إن القاع ازدحم فلنرتقي..

7- عقدة الشعور بالنقص..

كان يعمل بإحدى المحافظات كطبيب بيطري، وقد نُقل إليهم موظف من العاصمة في مجال الإدارة، قال هاني إنه قد بدأ التّعرف على ذلك الموظف في الأيام الأولى من العمل، يكمل هاني فيقول أن ذلك الموظف الجديد أعطانا معلومات كثيرة عن حياته لم تكن بينها أي معلومة صحيحة غير اسمه، حيث تحدث عن عائلته باعتبارها من العائلات الميسورة، وعن إنجازات والده في مجال عمله كعالم كبير، وعن دوره في الحياة الاجتماعية ودور أسرته ووالدته أيضًا، وعن كتب قرأها، وحتى الحي الذي يسكنه كان غير صحيح، حيث اختار منطقة راقية جدًا..

يكمل الطبيب هاني فيقول أنهم ظلوا يتعاملون معه على هذا الفهم لفترة طويلة حتى تم نقله إلى العاصمة مرة أخرى بناء على طلبه، ويذكر يومًا أنه عندما كان في زيارة للعاصمة مع زميل له قرّروا زيارة ذلك الموظف، فذهبوا إلى الحي الذي قال إنه يسكن

فيه فلم يجدوا له أثرًا، رغم أنه أكد لهم مرارا أن كل الناس تعرف عائلته.

يقول هاني أيضا: وفي اليوم التالي ذهبنا إلى الفرع الرئيسي للمصلحة، حيث تم نقل ذلك الموظف، فعرفنا أنه يسكن في حي شعبي فقير، وأنه يحمل شهادة الثانوية فقط، وأن والده يعمل في ورشة بمرتب ضئيل، ووالدته التي تحدث عن أعمالها الخيرية لا تعرف شيئًا عن القراءة والكتابة، وقد صدمنا عندما قابلناه حيث ارتبك لما رآنا ولاحظنا كيف تبدل وجهه وتغير، وكان غير راغب أبدا أن نبقى معه في المكتب لفترة طويلة، ليبدأ بعدها يتحجج بأن لديه بعض الأعمال لكملها، ليعتذر وينصرف بعيدا..

يعلق أستاذ علم النفس **د. محمود عبد الحليم**، عن هذه القصة فيقول: إن عدم رغبة ذلك الموظف في أن يبقى معه زميليه لفترة أطول يعود إلى عاملين: الأوّل خوفه من انكشاف أمره، بعد أن صنع لنفسه مملكة جميلة يتمناها واقتنع بها، وفي الوقت نفسه توجسه أن يعرفا واقعه الاجتماعي بلقائهما بالآخرين من زملائه الذين يعرفونه، وأشار إلى أن هذا هو الإحساس بالنقص، ويمكن لمثل هذه الحالة أن تتحول إلى حالة

من الحسد والحقد على المتميزين والاستيلاء على مواصفاتهم ونجاحاتهم ووظائفهم أمام آخرين لا يعرفونه لتعويض النقص والشعور باهتمامهم به[1].

نعم هي عقدة الشعور بالنقص، إن شعور ذلك الموظف بالنقص الدائم، جعله دوما يخترق قصصا ويبني ممالك جميلة من خياله، لينصب نفسه فيها بطلا مثاليا، وهو يعتمد في ذلك في كثير من الأحيان على جهل الآخرين به وبمستواه الدراسي أو المعيشي، وبحال عائلته ومستواهم المادي أو العلمي، فكلما كان مستمعوه لا يعرفون عنه شيئا كلما كانت قصصه خيالية أكثر وغير حقيقية، ليبدأ رحلته التي في الغالب ستكون قصيرة وقصيرة جدا، مع تزييف الحقائق عبر استدعاء القصص من الخيال، لكي يجاري أو يفوق كل مستمعيه، سواء تعلق الأمر بالمستوى المعيشي، أو العلمي، أو حتى المادي..

أغلب الذين يعانون عقدة الشعور بالنقص يخسرون علاقاتهم مع الناس، وحتى مع المقربين منهم، لأن سيطرة ذلك الشعور بالنقص عليهم، يجعلهم باستمرار يدخلون أنفسهم في

[1] عندما يتحول الشعور بالنقص إلى حالة مرضية، مجلة البيان، القاهرة، دار الإعلام والعربية، 2011.

مواقف تحرجهم كثيرا، ويجعلهم باستمرار أيضا يفضحون عند أول فرصة حقيقة، ذلك الموظف قد بنى مملكة جميلة كان يتمناها فجعل من أمه صاحبة مشاريع خيرية، ومن والده صاحب مساهمات كبيرة في مجال العلم، وأن عائلته ككل عائلة ميسورة الحال ومعروفة جدا في حيهم الراقي وسط العاصمة، كما جعل من نفسه مثقفا كبيرا، عبر إخبارهم على عدد الكتب التي قرأها، لكن كل تلك الأمور التي تحدث عنها لأصدقائه تبخرت في أول فرصة حقيقية باصطدامها بالواقع الحقيقي الذي يعيشه، فلما زاره صديقاه وعرفا الحقيقة، تبدل لونه واخترق أسبابًا أخرى لأجل أن يهرب من مواجهتهم...

إن الصراع الوهمي الذي عاشه ذلك الموظف مع نفسه، أدخله في حلقة مفرغة لأوهام عديدة، منها فخ المقارنة بينه وبين الناس، ومع الوقت اتّسعت حلقة الأوهام أكثر فأكثر، ليجعل نفسه محل مقارنة مع الكل، رافضا أن يكون أقل منهم في أي شيء، ليصاب بعقدة الشعور بالنقص، فكل شيء لديه يجب أن يكون مثاليا كي يجاري مستمعيه أو يفوقهم، فيضطر في البداية إلى استعمال خياله وتأليف القصص، وتنصيب نفسه على

مكانة عالية مرموقة في المجتمع، ورفع اسم عائلته، وحتى مكان سكنه، ومع تقدم الزمن والتكرار المستمر حتى يصدق نفسه ليصبح يتحدث بكل ثقة، الأمر الذي يجعله يرفع سقف أحلامه وتخيلاته عاليًا، محاولا تجاوز كل النقص الذي يعانيه واقعا، فلا يضع حسابا لأي أمر، وشيئا فشئيا إلى أن يصطدم بالواقع المخالف لكل شيء كان يقوله فيفضح أمام الكل، لتتبخر مملكته التي أحاطها بالأوهام والتزييف والكذب والمراوغة والتحريف.. لينتهي به المطاف إلى أن يُنظر إليه على أنه شخص لا ثقة فيه، ولا يجب أن يؤخذ كلامه على محمل الجد..

إن صراعه الوهمي مع نفسه عبر دخوله فخ المقارنة بينه وبين الناس، لن يتوقف عند حد معين بل سوف يتطور مع الزمن وسيعجل بفضحه وكشف حقيقته لتكون خسارته كبيرة وصدمته أكبر.. فهو دائما يضع نفسه محل مقارنة مع الآخرين، ولا يرضى أبدا أن يكون الخاسر في هاته المقارنة، ولأن النفس تحب الزيادة وهي طماعة بطبعها إن لم تروض بالقناعة، فهو يتخذ كل السبل المتاحة لأجل أن يتفوق في كل مقارنة يدخلها مع الآخرين، لتجاوز ذلك الشعور الحاد بعقدة النقص مع

نفسه، ويتكرر الأمر مرارا والأمر إذا تكرر تقرر، حتى تسيطر عليه تلك الأوهام وتغلق له كل منافذ المواجهة مع واقعه الحقيقي، فيستسلم لها كل الاستسلام ويرضخ دائما لإملاءاتها، وهذا ما يجعله دائما يعيش في واقع افتراضي مبني على الخيال الواسع والتأليف المستمر للقصص والمواقف البطولية التي كان بطلها بامتياز والتي يعزز بها مكانته التي تخيلها وأحب أن يعيشها واقعا وصورها للناس لأجل أن يجعلهم يصدقونه أكثر، الأمر الذي يجعل صراعه الوهمي نتيجة تغلب وسيطرة عقدة النقص عليه، ينعكس على غيره في صراع وهمي آخر مليء بالتزييف والمراوغة والحيل والكذب.. ليدخل في حلقة مفرغة من الصراعات، سوف تؤدي به لا محالة إلى خسران مكانته بين الكل.

يتكرر هذا الأمر كثيرا في أوساط وأزمان متعددة، لا تظن أن هذا الأمر هو خاص بفئة معينة من الناس فقط، أو هو حالة عرضية قل وجودها بيننا، بل العكس تماما إن الذين يعانون عقدة الشعور بالنقص هم كثيرون بدرجات متفاوتة، قد تكون أنت منهم أو أنا، أو صديقك أو زميلتك في العمل أو جارك في

السكن أو أخوك أو أختك، قد يكون أحد المقربين منك جدا... إن الشعور بالنقص قد يصبح صفة لصيقة بنا دائما في أي زمان ومكان إذا كان سقف أمنياتنا أكبر من سعينا الحقيقي للعمل على تحقيقها، أو إن كانت كل تطلعاتنا هي مبنية على المقارنة بيننا وبين ما يتفوق به الناس علينا، ساعتها نكون فتحنا البوابة التي سندفع إلى داخلها لنصبح ضمن أولئك الذين لا يفرقون بين ما يتخيلونه وبين وضعهم في الحياة حقا، فتأتي فترات يغلب فيها ذلك الخيال الواسع الذي نصبوا فيه أنفسهم ملوكا على ممالك وهمية، وذلك هروبا من الواقع الذي لم يستطيعوا مواجهته ظنا منهم أنهم فيه أقل شأنا من الآخرين، سواء تعلق الأمر بالجانب المادي أو العلمي أو قل أي جانب آخر يخطر ببالك، فيكون الهروب إلى الخيال والتأليف واستدعاء حالات تاريخية وقصص أو مغامرات.. هو الحل الأسهل لهم لأجل تغطية عجزهم عن مجاراة الآخرين ولأجل أن يكونوا على قدم المساواة معهم، لكن هيهات هيهات أن يتوقف الأمر على الحال فقط، بل سوف يتطور شيئا فشيئا، لتتنوع عقد النقص وتزداد مع الأيام، الشيء الذي يفضي لأن يزداد معها الخيال والكذب

وتأليف القصص لرفع مستواهم دائما، وهذا الأمر الذي يؤدي إلى أن يحاصروا بتلك العقد دائما ويجعلهم أسراها، الشيء الذي يعجل بفضحهم وكشفهم لدى الناس..

سبب الشعور بعقدة النقص.. [عندهم]

وأنا أبحث في موضوع الشعور بالنقص، كان لزاما التطرق لنظرة **أدولف أدلر** حول الشعور بالنقص حيث يرى أن **الشعور بالنقص ليس الإحساس العادي بالضعف بل الإحساس العميق بالدونية الذي يؤدي إلى عقدة النقص مثال:** عازف البيانو الذي يحس بأنه أقل مهارة من أستاذه ذلك أن أستاذه يفوقه في المهارة والخبرة. فهو يحس بالنقص فقط في هذا المجال ولكن الشعور بالنقص عندما يتعدّى حال العزف هنا نتحدث عن عقدة الشعور بالنقص عندما يشعر الفرد بالألم والخجل والقلق والخوف ويصبح عدواني ولديه حاجات ملحة للتفوق على الآخرين ويحقق المراتب الأولى في جميع المجالات. أي يصبح

الشعور بالنقص عبارة عن تفاعل كامل للشخصية أمام أي شخص مهما كانت الظروف.

وقد وقعت على العديد من الأسباب التي ذكرها البعض والتي تؤدي إليه وطرق التعامل معهم، فهناك من يرجعها إلى أسلوب التربية التي نشأ عليها الشخص في طفولته فبعض الأهل يتبعون أسلوب الشدة المبالغ فيها، أو حتى الأساتذة والمعلمين فيتعاملون بشكل سيء مع الطفل، وهذا ما ينعكس عليه مستقبلا في أن يكتسب شعورا بالنقص نتيجة سوء التعامل أثناء التنشئة ..

أيضا من بين الأسباب التي يراها البعض هو دلال الطفل بشكل مفرط فهذا يجعله لا يرضى بأي شيء، ودائمًا ما ينتظر المزيد وينتظر هذه المعاملة ذاتها من الجميع وليس فقط من الأهل وهنا يتعرض للصدمة الأولى، بالإضافة إلى الدلال بحيث لا يقوم الطفل بفعل أي شيء وهذا يضعه موضع الفشل والكسل مع شخصيته النرجسية التي يصعب التعامل معها.

كما أنه من بين الأسباب أيضا هو تمييز الأهل أحد الأبناء عن غيره، فبعض الأبناء ينظرون إلى افتقاد هذا التمييز بأنه نتيجة

نقص ما فيهم وذلك يدفعهم للمقارنة بين أنفسهم وبين الابن المدلل، في المقابل سينتج من التعامل المميز لذلك الابن أيضًا شخصية نرجسية تعاني النقص.

تعرض الشخص للمحاسبة أمام الآخرين يعد من بين الأسباب للشعور بالنقص، كأن يقوم الأب بمعاقبة وتوبيخ ابنه أمام الآخرين ليس مثل أن يقوم بمعاقبته أو لومه منفردا، وأن يقوم المعلم أو المدير بتوبيخ الشخص أمام جميع زملائه ليس مثل الحال عندما يكون الأمر بشكل خاص، فهذا الأمر سيؤدي إلى فقدان الشخص لثقته بنفسه ولتراجع مشاعره اتجاه إنجازاته ومن المرجح أن يشعر بدونية وجوده وعدم أهميته وكلها أشياء توصل في النهاية إلى عقدة النقص[1].

أيضا قد يكون التعرض للإحباط والانتقاص من الآخرين من بين أسباب الإصابة للشعور بالنقص ولا يشترط أن يكون توبيخ فقد يكون مجرد انتقاد أو انتقاص يتعرض له الشخص من الآخرين بدون أي دعم وبدون أي موضوعية، فيشعر هذا

[1] كل شيء عن عقدة النقص والانتصار عليها، مجلتك،
https://www.magltk.com/inferiority-complex/

الشخص بالظلم والكره للأشخاص الذين انتقدوه وبالمقابل يشعر بالنقص في ذاته وخاصة في حال قارن نفسه مع شخص أكثر نجاحًا وإبهارًا لمن حوله، وهذا راجع لعدم الثقة في النفس نتيجة التقصير أو وجود عيب خلقي أو نقص معرفي بالإضافة إلى دور الطفولة وانعدام مهارات التواصل الاجتماعي وغيرها من الأمور التي تدمر الثقة في النفس والتي تعتبر أساس التعامل السليم مع الحياة والواقع، فالشخص معدوم الثقة دائمًا ما يشعر أن جميع من حوله يراقبه وهذا يدفعه لرغبة بالحصول على إعجاب الجميع ومقارنة نفسه مع جميع من يحصلون على الإعجاب وقد لا يجد صفات مشتركة[1].

هل حقا أسبابهم حقيقية..؟

كانت هي تلك الأسباب التي وقفت عليها والتي تحدثت عن الأمور التي تؤدي إلى الشعور بالنقص لدى الآخرين، ترى هل هي

[1] المرجع نفسه.

أسباب حقيقية فعلا؟ أم هي مجرد وصف تاريخي ومحاولة لأجل إسقاط واقعي على حالات معينة تعاني الشعور بالنقص..؟

أنا لا أنتقص ولا أنقد تلك الأسباب فقد يكون منها أو قد تكون كلها صاحبة تأثير قوي انعكس حقيقةً على من يعاني الشعور بالنقص، بمعنى أنها ساهمت بشكل كبير في جانب من الجوانب في جعل هذا أو ذاك يعاني عقدة الشعور بالنقص، لكن أليس من العجز أن نجعل بعضُ أسبابٍ أقوى منا وننصبها المتحكم في تصرفاتنا، وكأننا ننأى بأنفسنا عن الخطأ بطريقة أخرى هروبا من واقعنا ومن حالنا في الأصل..

بأكثر وضوح أليست تلك الأسباب موجودة في كل مكان وزمان، ومع ذلك نجد الكثير من الناس تجاوزوها ولم تؤثر فيهم بالشكل الذي تجعلهم يشعرون بالنقص الدائم، سواء كان السبب راجع لتأثير الأسرة ونوعية التربية في الصغر، من تمييز الأبوين بين أولادهم أو شدتهم عليهم أو حتى بالعكس تماما خاصة إذا تعلق الأمر بالدلال الزائد، أو حتى لو تعلق الأمر بالوسط الذي نعيش فيه، بما يحمل كل تلك التناقضات والمداخلات المتنوعة نتيجة المخالطة، وما يكون فيها من صدمات

نفسية ومغامرات غير محسوبة المخاطر أي بصفة عامة الوسط الذي نعيش فيه بما يحمل من تنوع وتناقض.. ترى هل من الإنصاف أن نسلم كل التسليم للمؤثر الخارجي بتنوعه على أنه هو السبب الرئيسي لجعلنا نشعر بعقدة النقص؟؟ هل هذا حقيقي حقا، هل هذا مقنعٌ فعلا..؟

أعتقد أن هذا عجز سلمنا به وارتضيناه لضعفنا فقط، إن المؤثر الخارجي مهما تعدد ومهما كان قويا، فهو يبقى ضعيفا طالما كنا نحن أقوياء، وهو يتمكن ويقوى ويسيطر كلما كنا نحن ضعفاء، إن الأمر راجع لقابليتنا ولاستسلامنا ممّا جعل مفعول المؤثر الخارجي أقوى وأكثر فاعلية، ليتمكن منا كل التمكن لندخل في صراع وهمي مع أنفسنا وانعكاسه يكون صراعا وهميا آخر مع الآخرين محركه الأساسي عقدة الشعور بالنقص..

يقول نابليون بونابارت: الفقر والحرمان هما مدرسة الجندي الجيد. تأمل معي المقولة، انظر ما يحمله الفقر والحرمان من صدمات نفسية وسوء معاملة داخل وسط لا يرحم، فيه السعي للعيش بكل الطرق المتاحة وفيه التنافس على ذروته للظفر بقطعة خبز أو كوب حليب... وبالرغم من ذلك انظر التاريخ تجد

أن عظماؤه أتوا من وسط كانت فيه الصدامات النفسية والمادية والجسدية كل صدمة أقوى من سابقتها، صحيح أن للوسط الخارجي دور مهم وقد يكون فعالا، لكن هذه ليست مسلمة يجب العمل بها، بل هي فرضية يجب ذكرها لتجاوزها والتعلم منها..

إن أهم عامل لتجاوز فخ الوقوع في الصراع الوهمي بينك وبين نفسك والذي سينعكس حتما على معاملتك مع الآخرين، هو عدم استسلامك للظرف الخارجي مهما كان قويا، وأن تعلم أن لديك ما يكفي وزيادة لأن تتميز دون أن تستدرج لدوامة عقدة الشعور بالنقص، التي بابها الرئيسي هو فخ المقارنة بينك وبين الناس..

يجب أن تفرق بين عقدة النقص التي إن استسلمت لها دمرتك نفسيا وأدخلتك صراعات وهمية عديدة، لتمهد لتدمير علاقتك بالآخرين وتقضي على كل الذكريات الجميلة معهم، وبين وجود بعض النقص الحقيقي الذي يوجد لكل الناس بالاختلاف ألوانهم وأشكالهم وأصولهم، عليك أن تتقبل ذاتك كما هي وتحترمها وتقدرها وتثق بنفسك ثقة تامة وأن تعتقد كل

الاعتقاد أن وجود بعض النقص أمر حتمي للكل وذلك في مجال معين من المجالات، هذا لا يقف أبدا بينك وبين تجاوزه وذلك بالسعي الحقيقي لتصحيحه، وأنه ليس بعائق أبدا بينك وبين النجاح على العكس تماما إذا أسلمت لعقدة الشعور بالنقص الذي سيكون عائقا لفشلك وخسارتك لكل شيء..

قد تكون عظيما ولا تدري..

دعني أخبرك أمرا قد يكون مهما ومفيدا لك ولي، هل تعلم أن الكثير من الأبطال عبر التاريخ، الذين كان لهم أثرا بالغا في زمانهم، وخلد ذكرهم بعد وفاتهم، ومنهم من غيَّر مجرى التاريخ، ولازال ذكرهم قائما إلى اليوم، قد عانوا عقدة الشعور بالنقص في فترة من فترات حياتهم، لكنهم لم يستسلموا لها ولم يرضخوا لإملاءاتها المتكررة بالعجز بل العكس تماما تحدوا كل تلك العقد ونأوا بأنفسهم بعيدا عن الدخول في الصراع الوهمي عبر عقدة الشعور بالنقص، كان نابليون بونابارت واحدا من أهم القادة العسكريين في العالم، وأحد أشهر الشخصيات في التاريخ يقال

أنه في بداية حياته كان يشعر بعقدة النقص والتوتر والضيق بسبب قصر قامته، وكان يتضايق جدا بالعيب الخلقي الذي خلق معه.. لكن مع تقدم الزمن تجاوز كل ذلك الشعور بالنقص من قصر قامته ليعوض نقصه الجسمي باستخدام عقله والذكاء واستغلال قوة شخصيته لأجل الوصول إلى الحكم، ليخلد ذكره بين أحد أشهر القادة في التاريخ وواحد من عظمائه، أيضا يذكر أنّ هتلر الزعيم الألماني، وموسوليني الزعيم الإيطالي وفرانكو الجنرال الإسباني وستالين القائد السوفياتي.. على شاكلة نابليون من قصر القامة، رغم اختلافنا معهم ومع تاريخهم الدموي، لكنهم سعوا بحق إلى أهدافهم وحاولوا تعويض شعورهم بهذا النقص من خلال الحصول على قوة الشخصية وجمع النفوذ السياسي في سلطتهم بعد أن عزّ عليهم أن يغيّروا ما وهبهم الله من أجسام وقامات قصيرة، ليتجاوزوا ذلك، ويعتقدوا كل الاعتقاد أن الاستسلام للنقص لن يقدم لهم شيئا، وأن النجاح كل النجاح هو في السعي وراء المطالب والأهداف بكل جرأة وقوة وتفاؤل وإيمان.. وأن تحقيق الغايات لا يقدم عبر الاستسلام بل عبر التحدي..

عليك أن تتجاوز كل الظروف، في الحقيقة لا يوجد أي ظرف يكون أقوى من إرادتك، إن كنت سمين البدن انظر حجم ونستون تشرشل الذي يعد أشهر رئيس وزراء لبريطانيا، إذا كنت هزيل الجسم انظر جسم المهاتما غاندي أعظم الشخصيات الهندية عبر التاريخ، إذا كنت قبيح الوجه اقرأ عن قباحة وجه الجاحظ أحد أهم الأدباء العربي، إن كنت مقعدا على كرسي لا تتحرك انظر كيف كان حال ستيفن هوكينغ عبقري القرن 21، إن كنت طويل القامة بزيادة انظر كيف وصف طول عمر بن الخطاب الخليفة العادل عند المسلمين، وخالد بن الوليد أذكى وأشجع القادة العسكرين في الإسلام، وإن كنت قصير القامة انظر تاريخ نابليون وهتلر وفرانكوا وستالين ولينين.. أما إن كنت فقيرا أميًا معدمًا يتيما ضالا، فتأمل تاريخ محمد بن عبد الله، صلى الله عليه وسلم، أعظم شخصيات التاريخ قاطبة..

يقول الله عز وجل في كتابه العزيز: (**لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم** [1]).

[1] الآية 14 من سورة النور

يقول صاحب كتاب لا تحزن: ليست الشهادة العلمية الراقية كل شيء، لا تضق ولا تنغم لأنك لم تنل الشهادة العلمية أو الماجستير أو الشهادة الجامعية.. فإنها ليست كل شيء.. بإمكانك أن تؤثر وأن تلمع وأن تقدم للأمة خيرا كثيرا.... كم من رجل شهير خطير نافع لا يحمل شهادة.. إنما شق طريقه بعصاميته وطموحه وهمته وصموده الكثير في عصرنا الحاضر من المؤثرين في العلم الشرعي والدعوة والوعي والتربية والفكر والأدب ولم يكن عندهم شهادات عالمية مثل الشيخ ابن باز.. ومالك بن نبي.. والعقاد[1].

جاء في القرآن الكريم: (**وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خيرا لكم..**[2]).

وجاء أيضا (**وعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا**[3]).

قد يكون الذي عندك إذا عرفت استغلاله بالطريقة الصحيحة هو نفسه الشيء قد يميزك ويجعل منك الأشهر أو

[1] عائض القرني: لا تحزن، دار البرهان، بيروت، ط 19، 2006، ص 204

[2] الآية 261 من سورة البقرة

[3] الآية 19 من سورة النساء

الأعلم أو الأغنى أو الأهم بين الكل، انظر شارلي شابلن، الذي كان يقول دائما: لا شيء دائم في هذا العالم، ولا حتى مشاكلنا..

انظر صورته كيف كان، كان قصير القامة، قبيح الوجه، ذو منظر غريب ومشية أغرب، وشوارب قصيرة مقصوصة بطريقة غريبة، لكن حسن استغلاله لكل ذلك جعل منه الأهم دائما بين الكل في أي مكان يكون فيه..

يقول عالم النفس **الأمريكي وليم جيمس**: أننا نحن البشر نفكر فيما لا نملك، ولا نشكر الله على ما نملك، وننظر إلى الجانب المأساوي المظلم في حياتنا، ولا ننظر إلى الجانب المشرق فيها، ونتحسر على ما ينقصنا، ولا نسعد بما عندنا..

إننا ولا بد نخلق بعيوب خلقية كثيرة، فيها ما هو مخفي عن أنظار الناس، وفيها ما هو بادٍ لهم..

إننا قد نكبر في وسط فقير معدوم، و فيه كل أنواع الجريمة والحرمان والتسلط وقلة الحاجة..

إننا قد نكون بلا آباء أو أمهات أو إخوة، وفينا من يطرد من البيت ويشرد ولا يجد ما يأكل لأيام..

إننا قد نكون نبتلى بصحبة أصدقاء سيئين، وجيران أسوأ وإخوة أنانيين..

إننا قد نصدم كثيرا، وقد يهجرنا الأحبة، ويتشفى بنا الأعداء، ويكسر خاطرنا كثيرا..

إننا قد نفشل في تعليم، و في تجارة، وفي وظيفة، أو في إقامة علاقات كثيرة..

لكن تمعن معي في كل هذا، أليست هي الحياة هكذا أصلا، وأن كل هذه المشاكل والعقبات موجودة منذ الأزل، فقط هناك فرق صغير، هناك من حاول تجاوزها بكل إرادة حقيقية، وعندما فشل مرة أعاد مرارا، وهناك من استسلم من أول مرة.. إنه من العجز غير المبرر والذي ستدفع ثمنه فشلا دائما، هو أن تستسلم لظروف موجودة منذ أن خلق الله آدم، وأن تمكنها منك لأن تشعرك بالنقص وتفقدك الأمل..

الجهل، الأرض الخصبة للخداع..

يقول **أفلاطون**: الجهل هو أصل كل شر، نعم إن المشكلة كل المشكلة في الجهل، فهو الجذر الذي تخرج منه كل المشكلات كل الصراعات كل الآفات، بكل دقة كل الشر مرجعه إلى الجهل، دعني أوضح الأمر أكثر، قد يكون هناك الكثير من التعريفات للجهل، وقد يوحي مصطلح الجهل إلى العديد من الدلالات كلها دون استثناء تشكل خطرا على الأفراد والجماعات، لكني أخص بها نوعا واحدا هو الذي أراه يرتبط كل الارتباط بدخولنا دوامة الصراع الوهمي مع أنفسنا والتي ستنعكس بالضرورة على تصرفاتنا مع الآخرين، هو جهلنا لمكانتنا الحقيقية في الأحداث، لوضعنا في الحياة، جهلنا لقدراتنا، جهلنا بالصحيح من الأمور، جهلنا بأساسيات الإنسانية التي ركيزتها الحقيقية دون منازع هي حسن المعاملة، إننا نُخدع بالجهل، فندخل في صراع وهمي مع أنفسنا ثم إننا نمارس الخداع على الآخرين مدفوعين بذلك الجهل محملين بكل الطاقة السلبية التي أكسبناها..

كلما كان جهلنا كبيرا كلما كانت امكانيتنا لدخول صراعات وهمية لا حصر لها كبيرة جدا، إن الإنسان عدو ما جهل، إن الجهل يجعلنا لا نعرف كيف نتصرف، كيف نلبي رغباتنا وشهواتنا كيف نحقق أمنياتنا وطموحاتنا، كيف نفكر وكيف نقول وكيف نفعل، كل شيء نقوم به سيكون حتما عبر دافع معين، ويا لها من خسارة حينما يكون الدافع مبني على جهل، إننا سوف نكون مستعدين لأن نكره كل محبوب وسنفكر في إيذائه، وسوف نكون محملين بوساوس لا حصر لها وسنفسر كل فعل مهما كان نبيلا وكل معاملة مهما كانت حسنة بغير حقيقتها وسنبدأ بالبحث عن طرق شتى لأن يظهر ذلك الفعل النبيل وتلك المعاملة الطيبة على أن لها ما بعدها ثم نصنفها على أنها كانت أصلا عبر خبث كبير، وسنحارب بكل الطرق الممكنة لدينا كل الذين تميزوا عنا وقاموا بأشياء لم نقم بها، وسنبادر بكره الناس بلا سبب لننزل من مكانة قد تكون أفضل وأعلى إلى مكانة أقل شأنا وأدنى، لتبدأ بعدها رحلة طويلة من الكذب المستمر، الشيء الذي يجعلنا نفضح دائما عند أول اختبار حقيقي، وساعتها نحاول كل جهدنا لأن نصلح ما أفسدناه عبر لعبنا دور

الضحية دائما، لكننا سنزيد الأمر سوءا عبر المقامرة بسمعتنا ووضعها على الميزان، حتى شيئا فشيئا تتكون لدينا عقدة الشعور الدائم بالنقص.. صدقني أن كل هذا بدايته الجهل، يقول **ميلان كونديرا**: الإنسان ملزم بالمعرفة، الإنسان مسؤول عن جهله، الجهل خطيئة... نعم هو الجهل إن جهلنا بتحديد مكاننا الحقيقي في الأحداث وجهلنا بالشيء الذي نريده ومدى قدرتنا عليه، وجهلنا بالطرق السليمة التي نحقق بها غاياتنا، يجعلنا نبحث دائما على الطريق الأسهل ونتخذه الحل الأمثل لتحقيق ما نريد حتى وإن كان غير أخلاقي ولا إنساني، فطالما كان الأسهل كان الأقرب لنا لكي نتخذه سبيلنا، وهنا الفخ الذي أوقعنا فيه جهلنا وأدخلنا دوامة صراع وهمي طويلة مع أنفسنا ستنعكس حتما بالسلب على تصرفاتنا مع الآخرين، يقول **دان براون**: الجهل يعمي أبصارنا ويضللنا، أيها البشر افتحوا أعينكم..

كل الآفات مردها للجهل، الذين عصوا ربهم، وكان لهم الخسران في الدنيا وفي الآخرة كان سبب ذلك كان الجهل، الذين آذوا أنفسهم وشوهوا تاريخهم ودمروا سمعتهم كان سبب ذلك الجهل، الذين عادوا الناس وألحقوا بهم الأذى عبر الفتن والمكائد

كان ذلك كله بسبب الجهل، كل شيء سيء يرجع للجهل، يقول **على ابن أبي طالب**: أعظم المصائب الجهل.. ولهذا كان النبي الأعظم **محمد صلى الله عليه وسلم** يدعو الله دائما فيقول: رب اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري كله وما أنت أعلم به مني. اللهم اغفر لي خطاياي وعمدي وجهلي وهزلي وكل ذلك عندي[1].

نعم هو الجهل، الأرض الخصبة للخداع، فكلما كنت أكثر جهلا كلما كان سهلا أن يمارس عليك الخداع، وفي المقابل كنت أكثر قبولا وأكثر استعدادا أن تمارس الخداع على الآخرين دون تمييز وبكل غل وحقد وأنانية..

عندما نزل جبريل على سيدنا محمد لم يكن يحمل أكثر من كلمة واحدة يردّدها كثيرا كرسالة من الله عز وجل إلى نبيه ليبلغها للناس كافة، كانت اقرأ وهذا لعظمتها وقوة دلالتها وفائدتها على الأفراد والمجتمعات، يا لها من كلمة لو أعطيت حقها وفهمت كما نزلت حقًا، لما نزلنا من أعلى شرف الإنسانية

[1] أخرجه البخاري: 5/ 2350، برقم: 6035، ومسلم: 4/ 2087، برقم: 2719، من حديث أبي موسى الأشعري -رضي الله عنه

أبدا، كلما كانا أقرب للجهل كلّما كانا أقرب للدخول في الصراعات الوهمية وكنا الأكثر مساهمة في انحدار الإنسانية أكثر..

الجهل أرض خصبة لدخولنا لدوامة الصراع الوهمي، وأرض خصبة لممارسة الخداع علينا، وأرض خصبة للممارسة الخداع على الآخرين، نحن نجهل إذا نحن نَخْدَع أو نُخْدَع..